شعب الإيمان

تصنيف

الإمام الحافظ عماد الدين بن كثير الدمشقي

المتوفى ٧٧٤ هـ

(مخطوط يطبع لأول مرة)

إعداد وتحقيق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

الناشر

دار الحقيقة

مطبـــوعـــات

دار الحقيقة

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٨م

دار الحقيقة

للبحث العلمي والنشر

القاهرة- مصر

٠٠٢/٠١٠١٤٦٣٠٢٧

توزيع دارة الكرز

١٧ ش منشية البكري مصر الجديدة ت ٢٤٥٥١٣٠٤

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية:

٢٠٠٧/٢٥٥٧م

الترقيم الدولي/ isbn

٧٧-٦١٥٦-٧٧ E-0

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على الصادق الأمين، سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه السادة المقرَّبين، والتابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد..

فهذه رسالةٌ مخطوطةٌ للحافظ ابن كثير، صاحب التفسير، نقدِّمها للقارئ الكريم؛ لتضاف إلى أعمال المصنِّف خاصَّةً، وإلى مكتبة التراث الإسلاميِّ عامَّةً.

وموضوع الرسالة واضحٌ من اسمها، فقد جمع وسرد المؤلف تلك الأحاديث التي يراها من شعب الإيمان ولوازمه.

فإنه قد جمع ما يقيم شأن المكلَّف في الدنيا والآخرة في اختصارٍ وإيجازٍ، ألا وإن قائلها مَن أوتي جوامع الكلم.

فإن الناس الآن في وقتٍ أحوج ما تكون فيه إلى معرفة هذه الشعب باختصارٍ والعمل بها.

وقد قسَّمها إلى ثلاثٍ وسبعين شعبةً، ذكر فيها ما يتعلَّق بأركان الإيمان والإسلام، التي هي أهم ما ينبغي على المسلم معرفته من أمور دينه الحنيف، وما يتعلق بوجوب محبَّة الله ﷻ، والخوف منه ورجائه، وما يتعلق بوجوب محبَّة رسول الله ﷺ، وتعظيمه، وتوقيره، وما يتعلق بالطهارة والعبادات، والجهاد في سبيل الله، ونعم الله وشكرها، وحفظ اللسان، وأداء الأمانة، والزهد في الدنيا، وقصر الأمل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والحياء، والتقوى، وحسن الخلق مع الناس، وإفشاء السلام، وإكرام الضيف، وأن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لها، وغير ذلك مما يجمع فيه شعب الإيمان.

وما أحرانا أن نتعلمها ونعمل بها؛ حتى نكون من الذين جمعوا في هذه الشعب خيري الدنيا والآخرة.

ولما كانت هذه الرسالة غايةً في الأهمية كان من المفيد تحقيقها وضبطها وشرحها حيث قمت بالشرح على سبيل الاختصار وعموم الفائدة.

فذكرت المصادر التي نقلت عنها، وهي من أمهات كتب الشروح مثل «فتح الباري» لابن حجر وابن رجب، «وشرح النووي على مسلم»، وغيرها من كتب أهل السلوك والتحقيق.

وأنبِّه أني قد وجدت بعض الاضطراب في الأصل من تكرارٍ في بعض الأحاديث، مما أدَّى لسقط بعض الشعب وليس بالكثير، فقمنا ولله الحمد باستدراك ذلك ووضع الفائدة المرجوَّة حتى يكون العمل- إن شاء الله -كما أراد مصنِّفه.

وقد خرَّجنا أحاديثه وحكمنا عليها من حيث الصحة والحسن والضعف؛ اعتمادًا على حكم المصنِّف وغيره من أهل الحديث، واعتمدنا أحاديث الشعب.

فكان من المفيد نشر هذه الرسالة بعد مراجعة أصلها والتعليق والشرح؛ لئلا يكون العمل ناقصًا، وما نبتغي به إلا وجه الله الكريم، سائلين الله أن يجعلنا وإيَّاكم من الراجين رحمة الله ربِّ العالمين ورضا النبيِّ المصطفى الأمين ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلِّ اللّهم على سيدنا محمَّدٍ، وعلى آله وصحبه، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ هادي العباد، ولباب اللباب، وموصل الألباب لحضرة القدوس الوهاب.

كتبه/ أبو الحسن والحسين: أحمد فريد المزيدي ٠١٠١٤٦٣٠٢٧



[مقدمة الشيخ المصنف]

الحمد لله ربِّ العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه دائمًا إلى يوم الدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخليله خاتم النبيين والمرسلين ﷺ وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أجمعين.

وبعد.. فقد قال الله -سبحانه وتعالى- في كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

واختلف العلماء في قوله: ﴿كَآفَّةً﴾ فقيل: معناه: ادخلوا في السلم كلكم، وقيل: معناه: ادخلوا في السلم كافة أي: كافين عن غيركم لا تمنعوه أن يدخل في الإسلام، فيكون كافة حال من الضمير في ادخلوا، وقيل: معناه: ادخلوا في السلم كله أي: خذوا بجميع ما آمن به، وهذا أصح الأقوال[1].

***

---

(١) قال العكبري في التبيان في إعراب القرآن (١/ ٩٠): (كافة) حال من الفاعل في (ادخلوا)، وقيل: هو حال من (السلم)، أي: في السلم من جميع وجوهه.

وانظر: روح المعاني للألوسي (٢/ ٩٧)، وتفسير أبي السعود (١/ ٢١٢)، وتفسير الحافظ ابن كثير (١/ ٢٤٩٢٤٨).

شعب الإيمان وعددها

وقد قال رسول الله ﷺ: «**الإيمانُ بِضْعٌ وَسَبْعُون شُعْبَةً: أعلاها: قولُ لاَ إلهَ إلاّ اللهُ، وأدناها: إمَاطَةُ الأذى عنِ الطريقِ، والحياءُ شُعْبَةٌ منَ الإيمانِ**».

رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة[1].

وقد جاء في تعداد هذه الشعب أحاديث وآثار فلنذكرها ولنتكلم على كل منها من حيث صحتها وضعفها وعزوها، وبالله التوفيق، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

فنقول: هذا الحديث اشتمل على ثلاث شعب منها: شهادة أن لا إله إلا الله، وإماطة الأذى عن الطريق، والحياء.

فوائد في شرح الحديث: قال ابن منده في الإيمان (١/ ٣٠٠): ولللإيمان أول وآخر، فأوله: الإقرار، وآخره: إماطة الأذى عن الطريق، كما قال المصطفى ﷺ.

وقال أيضًا (١/ ٢٣٢): فجعل الإيمان شعبًا بعضها باللسان والشفتين، وبعضها بالقلب، وبعضها بسائر الجوارح.

وقال الإمام النووي: قوله (الإيمان بضع وسبعون شعبة) هكذا رواه عن أبي عامر العقدي، عن سليمان بن بلال، عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ.

---

(١) **حديث صحيح**: رواه البخاري (٢/ ٨٧١)، ومسلم (١/ ٦٣) (٣٥)، وأبو داود (٤/ ٢١٩)، (٤٦٧٦)، والترمذي (٥/ ١٠)، (٢٦١٤)، والنسائي في الصغرى (٨/ ١١٠) (٥٠٠٤) والكبرى(٦/ ٥٣٢)، وأحمد في المسند (٢/ ٤٤٥٥٦) ، والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٩٦)، وأبو نعيم في المسند المستخرج على مسلم (١/ ١٢٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢١٢)، والطبراني في الأوسط (٩/ ٢٠) (٩٠٠٤)، وفي الدعاء (ص ٤٣٧، ٤٣٨)، والطيالسي في مسنده (١/ ٣١٦)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ٢٥٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٠٣)، والخلال في السنة (٣/ ٥٨٦)، وابن منده في الإيمان (١/ ٢٩٥) والبيهقي في الاعتقاد (ص٣٣١) والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٤٢٥)، والأصبهاني في مجلس إملاء في رؤية الله تعالى (٧٣٣)، والسلمي في آداب الصحبة (٢٤)، وابن حبان (١/ ٣٨٤، ٣٨٧، ٣٨٨، ٤١٩، ٤٢٠)، وجميعهم من طرق عن سهيل بن أبي صالح، عن أبي هريرة فذكره تامًا ومختصرًا.

وفي رواية زهير، عن جرير بن سهيل، عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ﷺ: «**بضع وسبعون أو بضع وستون**». كذا وقع في مسلم من رواية سهيل: «**بضع وسبعون أو بضع وستون**» على الشك.

ورواه البخاري في أول الكتاب من رواية العقدي: «**بضع وستون**» بلا شك.

ورواه أبو داود والترمذي وغيرهما من رواية سهيل: «**بضع وسبعون**» بلا شك.

ورواه الترمذي من طريق آخر، وقال فيه: أربعة وستون بابًا.

واختلف العلماء في الراجحة من الروايتين، فقال القاضي عياض: الصواب ما وقع في سائر الأحاديث ولسائر الرواة بضع وستون.

وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح -رحمه الله: هذا الشك الواقع في رواية سهيل هو من سهيل كذا قال الحافظ البيهقي -رحمه الله- وقد روى عن سهيل: «**بضع وسبعون**» من غير شك، وأما سليمان بن بلال فإنه رواه عن عمرو بن دينار على القطع من غير شك، وهي الرواية الصحيحة أخرجاها في الصحيحين، غير أنها فيما عندنا من كتاب مسلم: «**بضع وسبعون**»، وفيما عندنا من كتاب البخاري: «**بضع وستون**»، وقد نقلت كل واحدة عن كل واحد من الكتابين، ولا إشكال في أن كل واحدة منهما رواية معروفة في طرق روايات هذا الحديث، واختلفوا في الترجيح، قال: والأشبه بالاتقان والاحتياط ترجيح رواية الأقل، ومنهم من رجح رواية الأكثر، وإياها اختار الحليمي، فإن الحكم لمن حفظ الزيادة جازمًا بها.

قال الشيخ ابن الصلاح: ثم إن الكلام في تعيين هذه الشعب يطول، وقد صنفت في ذلك مصنفات، ومن أغرزها فوائد كتاب «مناهج الإيمان» لأبي عبد الله الحليمي إمام الشافعيين ببخارى، وكان من رفعاء أئمة المسلمين، وحذا حذوه الحافظ البيهقي في كتابه الجليل الحفيل: «شعب الإيمان».

وقوله: بضع أو بضعة، بكسر الباء، وحكي الفتح لغة، وهو عدد مبهم ما بين الثلاث إلى تسع كما جزم به القزاز.

وقال ابن سيده: يقع على العشر، وقال الخليل: البضع: سبع، وقيل: ما بين اثنين إلى عشرة وما بين اثني عشر إلى عشرين.

والقول الذي عليه القزَّاز هو ما اتفق عليه المفسرون لما في قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾ [يوسف:٤٢].

والشعبة: هي القطعة، والمراد الخصلة أو الجزء.

وقد أشار في الحديث إلى أن خصال الإيمان منها ما هو قول باللسان.

ومنها: ما هو عمل بالجوارح.

ومنها: ما هو قائم بالقلب، ولم يزد في شيء من هذه الروايات هذه الخصال.

وقال ابن رجب- رحمه الله: وفي قوله: (**أعلاها...**) ما يستدل به من يقول: إن هذه الكلمة أفضل الكلام مطلقًا، وإنها أفضل من كلمة الحمد، وفي ذلك اختلاف ذكره ابن عبد البر وغيره.

فإن قيل: فأهل الحديث والسنة عندهم أن كل طاعة فهي داخلة في الإيمان، سواء كانت من أعمال الجوارح، أو القلوب، أو من الأقوال، وسواء في ذلك الفرائض والنوافل، وهذا قول الجمهور الأعظم منهم،وحينئذٍ فهذا لا ينحصر في بضعٍ وسبعين، بل يزيد على ذلك زيادة كثرة، بل في غيره منحصرة. قيل: يمكن أن يُجاب عن هذه بأجوبة:

أحدها: أن يقال: إن عدد خصال الإيمان عند قول النبي ﷺ كان منحصرًا في هذا العدد، ثم حدثت الزيادة فيه بعد ذلك حتى كملت خصال الإيمان في آخر حياة النبي ﷺ. وفي هذا نظر!

والثاني: إن تكون خصال الإيمان كلها تنحصر في بضع وسبعين نوعًا، وإن كانت أفراد كل نوع تتعدد تعددًا كثيرًا، وربما كان بعضها لا ينحصر.

وهذا أشبه، وإن كان الوقوف على ذلك يعسر أو يتعذر.

والثالث: إن ذكر السبعين على وجه التكثير للعدد لا على وجه الحصر، كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠].

والمراد تكثير التعداد من غير حصوله في هذا في العدد، ويكون ذكره للبضع يشعر بذلك كأنه يقول: هو يزيد على السبعين المقتضية لتكثير العدد وتضعيفه.

وهذا ذكره بعض أهل الحديث من المتقدمين، وفيه نظرٌ!

والرابع: إن هذا البضع وسبعين هو أشرف خصال الإيمان وأعلاها وهو الذي تدعو إليه الحاجة منها.

وقال القاضي عياض: تكلف جماعةٌ حصر هذه الشعب بطريق الاجتهاد، وفي الحكم يكون ذلك هو المراد صعوبة، ولا يقدح عدم معرفة حصر ذلك على التفصيل في الإيمان اهـ.

وقال الحافظ: ولم يتفق من عدَّ الشعب على نمط واحد، وأقربها على الصواب طريقة ابن حبان، لكن لم نقف على بيانها من كلامه، وقد لخصت مما أوردوه ما أذكره، وهو أن الشعب تتفرَّع عن أعمال القلب، وأعمال اللسان، وأعمال البدن.

فأعمال القلب: فيها المعتقدات والنيّات، وتشتمل على أربع وعشرين خصلة:

الإيمان بالله، ويدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده بأنه ليس كمثله شيء، واعتقاده حدوث ما دونه، والإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه المسالة في القبر، والبعث، والنشور، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة، والنار، ومحبة الله، والحب والبغض فيه، وصحبة النبي ﷺ، واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه الصلاة عليه واتباع سنته، والإخلاص، ويدخل فيه ترك الرياء، والنفاق، والتوبة، والخوف، والرخاء، والشكر، والوفاء، والصبر، والرضا بالقضاء، والتوكل، والرحمة، والتواضع، ويدخل فيه توقير الكبير، ورحمة الصغير، وترك الكبر والعُجب، وترك الحسد، وترك الحقد، وترك الغضب.

وأعمال اللسان: تشتمل على سبع خصال:

- التلفظ بالتوحيد.
- وتلاوة القرآن العظيم.
- وتعلم العلم وتعليمه.
- والدعاء.
- والذكر.
- والاستغفار.
- واجتناب اللغو.

وأعمال البدن: وتشتمل على ثمانٍ وثلاثين خصلة.

منها ما يختص بالأعيان، وهي خمس عشرة خصلة:

التطهير حسًّا وحكمًا، ويدخل فيه اجتناب النجاسات، وستر العورة، والصلاة فرضًا

ونفلاً، والحج والعمرة كذلك، والطواف، والاعتكاف، والتماس ليلة القدر، والفرار بالدِّين، ويدخل فيه الهجرة من دار الشرك، والوفاء بالنذر، والتحري في الأيمان، وأداء الكفارات.

ومنها ما يتعلَّق بالاتباع: وهي ستُّ خصالٍ: التعفف بالنكاح، والقيام بحقوق العيال، وبر الوالدين، وفيه اجتناب العقوق، وتربية الأولاد وصلة الرحم، وطاعة السادة أو الرفق بالعبيد.

ومنها ما يتعلق بالعامة وهي سبع عشرة خصلة:

القيام بالإمرة مع العدل، ومتابعة الجماعة، وطاعة أولي الأمر، والإصلاح بين الناس، ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة، والمعاونة على البر، ويدخل فيه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود والجهاد، ومنه المرابطة، وأداء الأمانة، ومنه أداء الخمس، والقرض مع وفائه، وإكرام الجار، وحسن المعاملة، وفيه جمع المال من حِلّه، وإنفاق المال في حقه، ومنه ترك التبذير والإسراف، وتشميت العاطس، وكف الأذى عن الناس، واجتناب اللهو، وإماطة الأذى عن الطريق، **فهذه تسع وستون خصلة، ويمكن عدها تسعًا وسبعين خَصلة باعتبار أفراد ما ضم بعضه إلى بعض مما ذكر، والله أعلم.**

وأما حقيقة الحياء: فهي خوف الذم بنسبة الشر إليه. قاله الحليمي.

وقال غيره: إن كان في محرم فهو واجب، وإن كان في مكروه فهو مندوب: وإن كان في مباح فهو العرفي، وهو المراد بقوله: **«الحياءُ لا يأتِي إلا بخيرٍ»**. رواه مسلم (٢/ ٦).

واعلم أن الحياء نوعان:

أحدهما: ما كان خلقًا وجبلة غير مكتسب، وهو من أجل الأخلاق التي يمنحها الله العبد ويجبله عليها، فإنه لا يكف عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق، ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها فهو من خصال الإيمان بهذا الاعتبار.

وقال بعض السلف: خَفِ الله على قدرته عليك، واستحِ منه على قدر قربه منك.

والنوع الثاني: ما كان مكتسبًا من معرفة الله ومعرفة عظمته وقربه من عباده واطلاعه عليهم وعلمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهذا من أعلى خصال الإيمان بل هو من أعلى درجات الإحسان. ويكفي قول النبي ﷺ: **«الحياءُ كُلُّهُ خيرٌ»**.

ويستفاد من هذا الحديث أيضًا أنه جعل القول والعمل جميعًا من الإيمان، ومع ذلك لا يكفر أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما قالت الخوارج، بل الأخوة الإيمانية باقية مع المعاصي، والله تعالى أعلم. وانظر: الفتح للحافظ (١/ ٥٣، ٩٤) وقطف الثمر في عقيدة أهل الأثر للقنوجي (ص٨٠)، وفتح الباري لابن رجب (١/ ٣٥) بتصرف.

الرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة، والثامنة:

[الصلاة، والزكاة، وأداء الخُمس، والصوم، والحج]

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قدم وفد عبد القيس إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، إنَّا هذا الحي من ربيعة، وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر، فلا نخلص إليك إلا في شهر حرام، فمُرنا بأمر نعمل به وندعو إليه من وراءنا، فقال: **«آمرُكُمْ بأربعٍ وأنهاكم عن أربعٍ، آمرُكم بالإيمانِ، ثُمَّ فَسَّرَهَا لهم بشهادةِ أن لا إلهَ إلا الله، وأنَّ محمدًا رسولُ الله، وإقامِ الصَّلاةِ [١/ أ]، وإيتَاءِ الزَّكَاةِ، وأنْ تُؤَدُّوا خُمُسَ ما غَنِمْتُمْ»** أخرجاه[1].

من شرح الحديث: جاء في بعض روايات الحديث: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وفي بعضها: وصوم رمضان.

قال العلامة ابن بطال -رحمه الله: أمرهم بالأربع التي وعدهم بها، ثم زادهم خامسة، يعني: أداء الخمس؛ لأنهم كانوا مجاورين لكفار مضر، فكانوا أهل جهاد وغنائم.

وقال الشيخ ابن الصلاح: أمرهم بالإيمان بالله أعاده لذكر الأربع ووصفه لها بأنها إيمان، ثم فسرها بالشهادتين والصلاة والزكاة والصوم، فهذا موافق لحديث **«بُني الإسلام على خمس»**، ولتفسير الإسلام بخمس في حديث جبريل عليه السلام.

واعلم أن ما يُسمّى إسلامًا يسمى إيمانًا، وأن الإسلام والإيمان يجتمعان ويفترقان، وقد قيل: إنما لم يذكر الحج في هذا الحديث لكونه لم يكن نزل فرضه.

وقال: وأما عدم ذكر الصوم في الرواية الأولى فهو إغفال من الراوي، وليس من الاختلاف الصادر عن رسول الله ﷺ.

قلت: وهذا قول القاضي عياض في شرحه على مسلم المسمى بإكمال المعلم بتحقيقنا.

وانظر: شرح مسلم للنووي (١/ ٢٥١)، والسراج الوهاج في كشف مطالب مسلم ابن الحجاج للقنوجي (١/ ٧٠) بتحقيقنا.

---

(١) **حديث صحيح:** رواه البخاري (٥٠٠)، (١/ ١٩٥)، (٢/ ٥٠٦)، (١٣٣٤)، (٣/ ١١٢٨)، (٢٩٢٨)، (٣/ ١٢٩٢)، (٣٣١٩)، ومسلم (١/ ٤٦)، (١٧)، وأبو داود (٣٦٩٢)، (٣/ ٣٣٠)، والترمذي (٥/ ٨)، (٢٦١١) والنسائي في الصغرى (٥٠٣١) (٨/ ١٢٠) وفي الكبرى (١١٧٦٢)، (٦/ ٥٣٧)، وابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٦)، وابن حبان (١/ ٣٧٢)، وأبو نعيم في المسند المستخرج (١/ ١١٠)، وابن منده في الإيمان (١/ ٥٦، ١٦١)، جميعهم عن ابن عباس مرفوعًا.

[ذكر سبع شعب عين الإيمان بالله]

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله: ما الإيمان؟ قال: **«أنْ تُؤمِنَ بالله وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ والبعثِ بعدَ الموتِ، والجنَّةِ والنَّارِ، وبالقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ»**. والحديث أخرجاه[1].

شرح الحديث: قال البخاري: جعل ذلك كله من الإيمان.

وقال الحافظ ابن رجب: إن الإيمان هو الاعتقادات القائمة بالقلوب.

وأصله: الإيمان بالأصول الخمسة التي ذكرها الله في قوله تعالى: **﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾** [البقرة: ٢٨٥].

فذكر في هذه الآية الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والمصير إليه، وهو اليوم الآخر وهو الذي ذكره النبي ﷺ لجبريل عليه السلام في سؤاله عن الإيمان المقرون بالإسلام، وفي بعض ألفاظه زيادة ونقص انتهى.

قلت: **فأما الإيمان بالله ﷻ معناه:** الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه، وأنه وحده الذي يستحق التفرد بالعبادة والوحدانية.

وأما الإيمان بالملائكة: فهو الاعتقاد بأن لله -تعالى- ملائكة موجودين مخلوقين من نور، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها.

فهم نوع من مخلوقات الله -عزّ وجل- لا يصلح إيمان عبد حتى يؤمن بوجودهم، وبما ورد في حقهم من صفات وأعمال، وفي كتاب الله -تعالى- وسنة نبيه ﷺ من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل ولا تحريف، وأنهم كثر لا يحصي عددهم إلا الله، وللإيمان بالملائكة آثار عظيمة في حياة المؤمن منها:

---

(١) حديث صحيح: رواه ابن منده في الإيمان (١/ ١٤٥، ١٣٨)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٧٤، ٣٧٨)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٣٩٠)، والبزار في مسنده (١/ ٢٧٣)، وأحمد في المسند (١/ ٢٧)، من حديث ابن عمر، وعن أبيه مرفوعًا، مختصرًا و تامًا وبألفاظ متقاربة. ورواه البخاري (١/ ٢٧)، (٥٠)، ومسلم (١/ ٣٧)، (٧) من حديث أبي هريرة نحوه.

١- إن الله ﷻ جنبنا بها أطلعنا من أمر هذه الأرواح المؤمنة وأفعالها الوقوع في الخرافات والأوهام التي وقع فيها من لا يؤمنون بالغيب، ولا يتلقون معارفهم عن الوحي الإلهي.

٢- الاستقامة على أمر الله - عز وجل- فإن من يستيقن بقلبه وجود الملائكة جنود الرحمن، ويؤمن برقابتهم لأعماله وأقواله وشهادتهم على كل ما يصدر عنه ليستحي من الله ومن جنوده، فلا يخالفه ولا يعصيه، لا في العلانية، ولا في السر، إذ كيف له ذلك ولا يعلم أن كل شيء محسوب ومكتوب ومشهود عليه.

٣- الصبر ومواصلة الجهاد في سبيل الله -تعالى- وعدم اليأس والشعور بالأنس والطمأنينة.

فتلك المعاني من لوازم الإيمان بالملائكة، وما أخبر الله من أفعالها وأحوالها فعندما يضل الركب عن الطريق، وتسود الجاهلية الجهلاء، ويصبح المؤمن غريبًا في وطنه، وبين أهله وقومه، ويجد منهم الصدود والاستهزاء والتخذيل والتثبيط عن طاعة الله والاستقامة على أمره في هذه الغربة يجد المؤمن أنيسًا ورفيقًا يصحبه ويرافقه ويواسيه، ويصبره، ويطمئنه، ويشجعه على مواصلة السير على درب الهدى، فهذه جنود الله معه: تعبد الله كما يعبده، وتتجه إلى خالق السماوات والأرض كما يتجه، وتبارك خطواته، وتشد من أزره، وتذكره بالخير عند ربه، فهو إذًا ليس وحده في الطريق إلى الله، ولكنه يسير مع الركب العظيم، ومع الأكثرية من مخلوقات الله -عز وجل- مع الملائكة الكرام، ومع الأنبياء- عليهم السلام- ومع السماوات والأرض، فهو الأكثر رفيقًا، وهو الأقوى سندًا، فتجعله هذه المشاعر الصادقة صابرًا مطمئنًا، لا يزيده صدود الناس إلا ثباتًا وجهادًا.

وأما الإيمان برسله: فهو أنه أوجب علينا الإيمان بأنبياء الله ورسله الذين سماهم الله في كتابه، وأنه أرسل رسلاً سواهم، لا يعلم عددهم وأسماءهم إلا الله تعالى مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ﴾ [غافر : ٧٨]، وقال أيضًا: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر : ٢٤].

والإيمان بكتب الله ﷻ واجبٌ علينا أن نؤمن بالكتب السماوية التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله، وذلك مثل التوراة التي أُنزلت على موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أُنزل على

عيسى ﷺ، والزَّبُور الذي نُزِّلَ على داود ﷺ، والصحف التي أنزلها الله على إبراهيم وموسى -عليهما السلام- والقرآن الذي أُنزل على خير الأنام ﷺ وأنه خاتمة الكتب على خاتم الرسل، وكذلك نؤمن بأن هناك كتبًا أخرى نؤمن بها إجمالاً، وأنها نزلت بالحق والنور والهدى وتوحيد الله -عز وجل.

والإيمان بالبعث بعد الموت: هو الإيمان بأن الله يبعث من في القبور.

والإيمان بلقاء الله معناه: الإيمان بوقوف العباد بين يدي الله -عز وجل- للمحاسبة بأعمالهم والجزاء بها.

قال ابن حجر: إن البعث وقع مرتين: الأولى: الخروج من العدم إلى الوجود، أو من بطون الأمهات بعد النطفة والعلقة إلى الحياة الدنيا.

والثانية: البعث من بطون القبور إلى محل الاستقرار، وأما اليوم الآخر فقيل له ذلك لأنه آخر أيام الدنيا أو آخر الأزمنة المحدودة.

والمراد بالإيمان به والتصديق بما يقع فيه من الحساب والميزان والجنة والنار اهـ.

فبالجملة: يجب علينا الإيمان بكل ما أخبر به الله -عز وجل- في كتابه، وأخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه، ونعيمه، والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار، وما أعدَّ الله -تعالى- لأهلهما جميعًا من النعيم أو العذاب المقيم.

وأما الإيمان بالجنة والنار: فإن الذي نطق به القرآن وأخبرت به السنة عن الجنة والنار فيه معتبر لأولي الأبصار.

وأما الإيمان بالقدر كله خيره وشره: فالقدر هو علم الله -تعالى- بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل.

وقال الإمام أحمد عندما سُئل عن القدر؟ قال: القدر قدرة الرحمن.

وقال الطحاوي: وكل شيء يجري بتقدير ومشيئة تنفذ، ولا مشيئة للعباد إلا ما شاء الله، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره.

وقال ابن القيم: فما الفرق بين كون القدر خيرًا وشرًّا وكونه حلوًا ومرًّا؟ قيل: الحلاوة

والمرارة تعود إلى مباشرة الأسباب في العاجل، والخير والشر يرجع إلى حُسن العاقبة وسوئها، فهو حلو ومر في مبدئه وأوله، وخير وشر في منتهاه وعاقبته.

وقد أجرى الله -سبحانه- سنته وعادته على أن حلاوة الأسباب في العاجل تعقب المرارة في الآجل، مرارتها تعقب الحلاوة، فحلو الدنيا مر الآخرة، ومر الدنيا حلو الآخرة.

وقد اقتضت حكمته - سبحانه - أن جعل اللذات تثمر الآلام، والآلام الدائمة، فألم يعقب اللذة الدائمة أولى بالإيثار والتحمل من لذة تعقب الألم الدائم، فلذة ساعة في جنب ألم طويل كلا لذة، وألم ساعة في جنب لذة طويلة مثل لا ألم.

تنبيه في مسألة الإيمان والإسلام وضدهما: قال السمرقندي في الصحائف: الإيمان في اللغة: التصديق، وفي الشرع مختلف فيه.

فقال المحققون: هو تصديق الرسول بكل ما علم بالضرورة مجيئه به، وإنما قيد بالضرورة لأن منكر الاجتهاديات لا يكفر إجماعاً، ويقرب منه ما نقل عن الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمة الله: إن الإيمان هو: المعرفة والإقرار.

وقالت المعتزلة: الإيمان هو الطاعات.

ونقل عن السلف أنه التصديق بالجنان، والإقرار باللسان والعمل بالأركان، فمن أضل بالتصديق وإن شهد وعمل فهو منافق ومن أضل بالشهادة فهو كافر، ومن أخل بالعمل فهو فاسق وهذا قريب مما نقل عن علي -كرم الله وجهه- عن النبي ﷺ، وبه قال الشافعي -رحمه الله- أنه معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

وأما الإسلام فهو بمعنى الاستسلام لغة، وفي الشرع: الخضوع وقبول قول الرسول، فإن وجد معه اعتقاد وتصديق بالقلب فهو الإيمان، فالإيمان أخص من الاسلام؛ ولهذا قال الله -تعالى-: ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمان فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ [الحجرات:١٤] بين أنه ليس في قلوبهم تصديق الرسول، ولكنهم قبلوا قوله، وأظهروا الخضوع مخافة.

وأما الكفر: فهو في اللغة، الستر، وإنما سمي الكافر كافرًا؛ لأنه يستر الحق.

وفي الشرع: إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به.

ولا يكون بين الإيمان، والكفر واسطة إذا فسر الإيمان بالتصديق، إما إذا فسر بمجموع

الطاعات فتتحقق الواسطة؛ لأن من صدق الرسول في كل ما علم بالضرورة مجيئه به، ويترك شيئًا من العبادات لا يكون مؤمنًا حينئذٍ ولا كافرًا.

وسمى المعتزلة القسم منـزلة بين المنـزلتين.

وقالت الخوارج: من ترك شيئًا من العبادات فهو كافر، فعلي هذا لا يكون بين الإيمان والكفر واسطة أيضًا.

والدليل على أن الطاعات جزء من حقيقة الإيمان أنه لو كان كذلك لكان تقييد الإيمان بالطاعة تكريرًا، وبالمعصية نقضًا لكنه باطلٌ؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الكهف:٣٠]. وبقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢].

ولما صح جعل القلب محلاً للإيمان إذ الطاعات ليست جميعها من أفعال القلوب لكنه باطل، لقوله تعالى: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾ [المجادلة:٢٢]، ولأن من صدق بالله وبرسوله ومات قبل أن يشتغل بطاعة مات مؤمنًا إجماعاً، واحتج الخصم بوجوه:

فالأول فعل الواجبات هو الدين لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

وذلك يرجع إلى كل ما تقدم، فكان كل ما تقدم هو الدين، والدين هو الإسلام لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران:١٩]، والإسلام هو الإيمان إذ لو كان غيره لما كان الإيمان مقبولاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥] فلزم أن يكون فعل الواجبات هو الإيمان.

والجواب: إن بيان اتحاد الإسلام والإيمان معارض بقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ [الحجرات:١٤] ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ [الحجرات:١٤]؛ ولئن سلمنا ولكن دليلكم إنما دل على أن الطاعات يصدق عليها الإيمان.

ولا يلزم من ذلك كونها حقيقة الإيمان لجواز أن يكون صدق الإيمان عليها لكونها متضمنة للتصديق والاعتقاد.

الثاني: لو كان الإيمان عبارة عن التصديق لكان قاطع الطريق مؤمنًا لكونه مصدقًا لكنه ليس بمؤمن لأنه مخزي؛ لأن الله تعالى يدخلة النار لقوله تعالى في حقهم: ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ [الحشر:٣] وكل من يدخله النار فقد أخزاه؛ لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ [آل عمران:١٩٢] والمؤمن لا يخزى؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا معه﴾ [التحريم:٨]، وفيه نظر؛ لأن هذا إنما يصح أن لو كانت الواو عاطفة، أما إذا كانت ابتدائية، فلا، ولئن سلمنا لكن المراد: الصحابة؛ بدليل قوله تعالى: ﴿مَعَهُ﴾ [التحريم: ٨].

الثالث: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: صلاتكم إلى بيت المقدس.

والجواب: لا نسلم، إن كان الإيمان هاهنا الصلاة لم لا يجوز أن يكون المراد التصديق بوجوب تلك الصلاة؟

الرابع: لو كان الإيمان عبارة عن التصديق لما كان قابلاً للزيادة والنقصان؛ إذ التصديق معنى واحد لا يقبل ذلك؛ لكنه باطل.

واختلفوا في أن الإيمان هل يزيد وينقص أم لا؟ فقال بعض من ذهب إلى أن الإيمان هو التصديق: لا، لأن مسمى التصديق شيء واحد لا يتطرق إليه الزيادة والنقصان.

وقال آخرون: لا يقبل النقصان، ولكن يقبل الزيادة لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾ [الأنفال:٢] ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح:٤] ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً﴾ [المدثر: من الآية٣١] ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾ [الأحزاب:٢٢]، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾ [التوبة:١٢٤].

وقال من زعم أن الطاعات داخلة في حقيقة الإيمان: إنه يقبلهما.

واستدل بالآيات المذكورة، وقال الإمام: هذا البحث لفظي؛ لأن المراد بالإيمان إن كان هو التصديق فلا يقبلهما، وإن كان الطاعات فيقبلهما، ثم ذهب إلى التوفيق فقال: الطاعات مكملة للتصديق، وكل ما دل على أن الإيمان لا يقبل الزيادة، والنقصان كان مصروفًا إلى أصل الإيمان، وما دلَّ على كونه قابلاً لهما فهو مصروف إلى الإيمان الكامل هذا ما ذكروه.

والحق: إن الإيمان قابل لهما سواء كان بمعني الطاعات، وهو ظاهر و بمعني التصديق، لأن التصديق بالقلب هو: الاعتقاد الجازم وهو قابل للشدة والضعف؛ إذ يبتدئ من أجلي البديهيات نازلاً إلى أخفي النظريات.

وصاحب الكبيرة مؤمن مطيع بإيمانه عاص بفسقه، وعند المعتزلة: ليس بمؤمن ولا كافر وعند جمهور الخوارج كافر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

وفيه نظر؛ لأن ذلك يدل على أن من لم يحكم بما أنزل الله ولم يصدقه فهو كافر ولا نزاع فيه، وإنما الكلام فيمن يرتكب معصيه.

وعند الأزارقة مشترك، لأنه يعمل عملاً لله وعملاً لغيره فصار مشركًا لمخالفته لقوله تعالى: ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف:١١٠] وعند الزيدية كافر بالنعمة، وعند الحسن البصري منافق لقوله ﷺ:«آية المنافق ثلاث: إذا ائتمن خان، وإذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب[(١)]».

واختلفوا في الكبائر فروى ابن عمر عن أبيه عن النبي ﷺ أنها تسعة: الشرك بالله، وقتل النفس عمدًا، وعقوق الوالدين المسلمين، والسحر، وأكل مال اليتيم، والقتال في الحرم، والزنا، والفرار من الغزاة عند قتالهم، وقذف المحصنة.

وزاد علي -كرم الله وجهه- السرقة وشرب الخمر، وزاد أبو هريرة: أكل الربا وقيل: الكبيرة ما توعد الشارع عليه بخصوصه،ووعيد أصحاب الكبائر من أهل الإيمان منقطع، أي: يخرجهم الله -تعالى- من النار إلى الجنة خلافًا للمعتزلة.

لنا: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

واحتج الخصم بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار:١٤].

والجواب: إن هذا لا يوجب دوام العذاب، وبقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا) [النساء: من الآية٩٣].

والجواب: إن قوله-تعالى-﴿فجزاؤه﴾ يوجب كونه مستحقًا لدوام العقاب والاستحقاق لا يوجب الوقوع. وذهب أبو هاشم وأتباعه: إلى أن الطارئ يزيل المتقدم بطريق الموازنة أي: تقابل أجزاء الثواب بأجزاء العقاب، فيسقط المتساويان منهما، ويبقى الزائد.

وقال أبو علي وأتباعه: إنه بطريقة الاحباط أي يبقى الطارئ بحالة ويسقط من السابق بقدرة.

وأجمعوا على أن وعيد الكافر المعاند دائم، وأما الكافر الذي بالغ في الاجتهاد ولم يصل إلى الحق فزعم الجاحظ والعنبري: إنه ينقطع لأنه معذور لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] وأنكره الباقون، وادعوا فيه الإجماع.

والذين زعموا أن الطاعات داخلة في الإيمان فمنهم من جوز الاستثناء مطلقًا وهو

---

(١) رواه البخاري (١/ ٢١)، ومسلم (١/ ٧٨).

قول عبد الله بن مسعود ﷺ، وقوم من الصحابة، والتابعين، والشافعي-رضي الله عنهم- ومنهم من جوز في الاستقبال دون الحال، وهو قول جمهور المعتزلة والخوارج والكرامية.

والذين ذهبوا إلى أن الإيمان هو التصديق، فمنهم من جوز الاستثناء وهو قول أبي سهل الصعلوكي وابن فورك، ومنهم من أنكره وهو قول أبي حنيفة وأصحابه - رحمهم الله- وقوم من المتكلمين.

حجة المجوز من وجوه: فالأول: هذا للتبرك لا للشك، كقولة تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح:٢٧] وهذا للتبرك؛ لامتناع الشك على الله تعالى.

الثاني: إنه للشك لكن لا في الحال بل في العاقبة؛ لأن الإيمان المفيد هو الباقي عند الموت وكل شاك في ذلك.

الثالث: لما كان الإيمان عندهم مجموع الاعتقاد والقول والعمل والشك في العمل الذي هو أحد أجزائه يُوجب الشك فيه فصح الشك في حصول الإيمان.

وقال المانع: أنا مؤمن حقًّا؛ لأن الشك في الحال والاستقبال يوجب على ضعف الاعتقاد في الحال ولا نزاع إن كان للتبرُّك.

قال أهل السنة: كل من اعتقد أركان الدين تقليدًا فإن اعتقد مع ذلك جواز ورود شبهة عليها وقال: لا آمن ورود شبهة تفسدها فهو كافرٌ ومن لم يعتقد جواز ذلك فقد اختلفوا فيه فمنهم من قال: إنه مؤمن، وإن كان عاصيًا بترك النظر، والاستدلال المؤدي إلى معرفة أدلة قواعد الدين، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد والأوزاعي والثوري وكثير من المتكلمين، ومنهم من قال: إنه لا يستحق اسم المؤمن إلا بعد عرفان أدلة قواعد الدين سواء أحسن العبادة عن الأدلة أولاً، وهو مذهب الأشعري وقوم من المتكلمين.

ومن لم تبلغة دعوة الإسلام فإن اعتقد وحدانية الله تعالى، وعدله فحكمه حكم المسلمين، وهو معذور في جهله بأحكام الشرع، وإن اعتقد الشرك والتعطيل فهو كافرٌ.

فإن لم تبلغه دعوة نبي آخر لم يكن مكلفًا، ولا يكون له ثواب ولا عقاب، وإن بلغته ولم يؤمن بها كان مستحقًّا للوعيد على التأبيد، وإن لم يعتقد شيئًا لا توحيدًا ولا كفرًا فليس بمؤمن ولا كافر انتهى.

فائدة: قال الشيخ الفقيه عبد الله الشرقاوي ﷺ: **«ومراتب السلوك ثلاثة: الإسلام، والإيمان، والإحسان»**.

فالإسلام: أوَّل مراتب السلوك لعامَّة المؤمنين.

والإيمان: أوَّل معارج القلب لخاصَّتهم.

والإحسان: أوَّل معارج الروح لخاصة المقرَّبين، وقد فَسَّر ذلك ﷺ في الحديث المشهور حيث قال في الأول: «**الإسلام أنْ تشهدَ أنَّ لا إله إلا الله وأنَّ محمَّدًا رسولُ الله، وتقيمَ الصلاةَ، وتُؤتِيَ الزكاةَ، وتصومَ رمضانَ، وتحجَّ البيتَ إنِ استطعتَ إليه سبيلاً**[1]».

وفي الثاني: «**أنَّ تؤمنَ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر كلِّه خيرِه وشرِّه وحلوِه ومُرِّه**[2]».

وفي الثالث: «**أنْ تعبدَ الله كأنَّك تراهُ، فإنْ لَمْ تكنْ تراهُ فإنَّه يراك**[3]».

فاستفيد منه أن الإسلام: قيام البدن بوظائف الأحكام، والإيمان: قيام القلب بوظائف الاستسلام، والإحسان: قيام الروح بمشاهدة العلاَّم.

ألا تراه يقول: (**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه**)، فتكون قائمًا بوظائف العبودية مع شهودك إيَّاه، (**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**) فتكون قائمًا بوظائف العبودية مع شهوده إياك، فأنت في الأول مرادٌ، وفي الثاني مريدٌ، وشتَّان ما بينهما؛ فإن إرادتك حجابٌ.

قال داود عليه السلام: «**يا ربِّ إنِّي أطلبُك. قال: يا داود أنت مِنْ أوَّل قدمٍ فارقتني قال: يا ربِّ وكيف؟ قال: لأنك جعلت الطلب منك إليَّ، ولو جعلته مني إليك لوجدتني**»؛ لأن الكلَّ منه -سبحانه وتعالى؛ إذ لا وصول إليه إلا به.

قال أبو يزيد رضي الله عنه: تهت في بدايتي في ثلاثة أشياءٍ: كنت أظنُّ أني أحببته وطلبته وذكرته، فرأيت ذكره لي سبق ذكري له، وطلبه لي سبق طلبي له، وحبُّه لي سبق حبِّي له؛ فالكل به وبفضله، انتهى.

وقال الباني: **الشريعة إسلام، والطريقة إيمان، والحقيقة إحسان.**

ومنها: ما في قوله: (**الشريعة إسلام وانقياد**) ، و(**الطريقة إيمان بالله**) بأنه الموجود

---

(١) رواه مسلم (١/ ٣٧)، وأبو داود (٤/ ٢٢٣)، والنسائي (٨/ ٩٨).

(٢) رواه مسلم (١/ ٣٧)، وابن حبان في «الصحيح» (١/ ٣٩٠).

(٣) رواه البخاري (١/ ٢٧).

الفعَّال لما يريد، و (**الحقيقة إحسان**)، فالإسلام في الشريعة: «**أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**»، «**والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**»، «**والإحسان أن تبعد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

فالإيمان على هذا مقدم على الإسلام والإحسان، وهو الواقع في سؤال جبريل عليه السلام عليالرسول ﷺ حيث إن الإيمان مقدم في الذكر هناك إلا أن عند هذه الطائفة أن الإيمان مركب من الإسلام وغيره، فالإسلام جزاء الإيمان، والجزاء مقدم.

وعند أهل الشرع الإيمان هو التصديق فقط، وهو جزء الإسلام، ولهذا قدم السؤال، فعلى قول أهل الشريعة: الشريعة إسلام وإيمان، والطريقة إحسان، والحقيقة شهود وعيان، وعلى ما قرره الشيخ ﷺ: الشريعة إسلام، وهو مبني على الأصول الخمسة المذكورة، وهو أول **مرتبة من المراتب السبع التي جعل الله تعالى- مطلق أمه محمد ﷺ عليها، والطريقة إيمان وهو** على ركنين: **الأول: التصديق اليقيني بما ذكر في تعريف الإيمان الشرعي، والثاني: الإتيان** بجميع ما بني الإسلام عليه، والمراد بالتصديق اليقيني: سكون القلب إلى تحقيق ما أُخبر به من الغيب كسكونه إلى ما شاهده ببصره، فلا يشوبه ريب في وحدانية الله تعالى ولا في ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، كما لا يشوبه ريب في المحسوسات والمبصرات، ومن هنا اشترطوا في الإيمان قبول القلب من غير دليل، وقالوا: كل ما هو معلوم بالعقل ليس مما هو مؤمن به لعدم تواطئ القلب عليه بلا دليل، والإيمان تواطؤ القلب على ما بعد عن العقل دركه، فالعقل لا يدرك إلا بالدليل فما علم بالعقل ليس بإيمان عندهم، بل عِلم نظري مستفاد بدلائل الشهود، فهؤلاء ليس إيمانهم إلا بالله؛ إذ لا غيب عندهم إلا كنه الذات الإلهية وعلمهم بما دونه علم شهودي، وشرط الإيمان أن يكون المعلوم غيبًا، والاستقامة على المقامات السبعة من التوبة والإنابة والزهد والتوكل والرضا والتفويض والإخلاص في جميع الأحوال مرتبة ثالثة من المراتب السبع، إلا أنه من الإيمان وتمامه الصلاح، وعدُّوه مرتبة أخرى تحت الاستقامة المذكورة، والصلاح دوام العبادة بشرط الخوف والرجاء في الله تعالى، فالاستقامة على هذا رتبة رابعة وهو الإحسان المعبر به عن الحقيقة وفوق المرتبة الرابعة باعتبار، والثالثة باعتبار مرتبة الشهادة والصديقية والقربة، والكل داخل تحت الحقيقة.

فالحاصل أن الإسلام منفرد أول ليس معه سوى أصوله، والإيمان إسلام مع شيء آخر وهو دوام العبادة، والإحسان إسلام وإيمان وصلاح مع شيء آخر وهو الاستقامة فيكون في

الأخير، كما أن مرتبة الشهادة فوق الإحسان، والصديقية فوق الشهادة، والقربة فوق الصداقة، فامتازت الشهادة عن مجموع الإسلام والإيمان والصلاح، والإحسان بالإرادة، والصديقة عنها بالمعرفة، والقربة بالولاية الكبرى، وتفصيل هذه المراتب مذكور في الإنسان الكامل للشيخ الجيلي -قدس سره- فارجع إليه انتهى.

وانظر: **«فتح الباري»** للحافظ ابن رجب (١/ ٣٥)، وللحافظ ابن حجر (١/ ٨٢)، و**«شفاء الغليل»** لابن قيم (ص٥١٢)، و«السراج الوهاج» (١/ ٢٥)، و«الصحائف الإلهية» (ص١٨٦)، و«شرح الحكم الكردية» (ص٢١)، للشرقاوي، و«شرح الحكم الأكبرية (ص٤٦٧) أربعتهم بتحقيقنا.

الشعب السادسة عشرة، والسابعة عشرة، والثامنة عشر:

[الصلاة، وبر الوالدين، والجهاد]

عن ابن مسعود ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ **أيُّ الأعمال أفضل؟** قال: **«الصَّلاةُ على وقْتِهَا»**. قلت: ثم أيُّ؟ قال: **«بِرُّ الْوَالِدَيْنِ»**. قلت: ثم أيُّ؟ قال: **«الجِهَادُ في سَبِيلِ الله»**.

قال: حدثني بهن رسول الله ﷺ، قال: ولو استزدته لزادني.

أخرجاه[١].

شرح الحديث: أحاديث الباب عن أبي هريرة، وأبي ذر، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم.

فإن السؤال عن أي الأعمال أولى في مرتبة الأفضلية دليل على حرص العبد المؤمن في تقربه إلى ربه، وشاهد على حسن المراقبة، وطلب الوصول إلى غاية المأمول، والمرشد في ذلك هو الرسول ﷺ، فكان جوابه النوري بأنه الصلاة على وقتها، حيث إنها هي أهم الفرائض،

---

(١) **حديث صحيح:** رواه البخاري (٦/ ٢٧٦٠) (٧٠٩٦)، ومسلم (١/ ٨٩)، (٨٥)، والدارمي في سننه (١/ ٣٩٠)، والترمذي (٤/ ٣١٠)، (١٨٩٨)، وابن حبان في صحيحه (٤/ ٣٤٣)، (١٤٧٩)، والحاكم في المستدرك (٦٧٥)، (١/ ٣٠١)، والدارقطني (١/ ٢٤٦، ٢٤٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢١٨)، (٢٥٣٩٩)، ومعمر في الجامع (١١/ ١٩٠)، والشاشي في مسنده (٢/ ١٩٢)، (٧٦١) والطبراني في الأوسط (٣/ ١٠٣)، وأحمد في المسند (١/ ٤٤٨، ٢٦٤، ٤٥١)، والطبراني في المعجم الكبير (٩٨٠٢)، (٩٨٠٦)، (٩٨١٠) وفي الصغير (١/ ٢٢٧)، (٤٥٥) واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٨٣٥)، وابن منده في الإيمان (١/ ٥٤)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢٠١)، رقم (١٦٣)، كلهم من طرق عن ابن مسعود به فذكره بنحوه.

وهي عماد الدين أو عموده، كما في حديث الترمذي: «**رأسُ الأمرِ الإسلامُ وعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ**».

وهي: أول ما أوجبه الله تعالى من العبادات، وبدون واسطة، ولذلك قال الله تعالى مبينًا أن أفضل الصلاة ما كانت على وقتها: ﴿**إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا**﴾ [النساء: ١٠٣]، يعني: مفروضًا مقدرًا وقتها فلا تؤخر عنها.

فكان من الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يحافظ على هذه الصلوات الخمس وفي أوقاتها، وإلا كان من الذين قال الله في شأنهم: ﴿**فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾ [مريم: ٥٩].

قال العلامة الحافظ ابن كثير: قال الأوزاعي عن إبراهيم بن زيد: إن عمر بن عبد العزيز ﷺ قرأ هذه الآية، ثم قال: لم تكن إضاعتهم تركها؛ ولكن أضاعوا الوقت.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية، ولكن أخروها عن أوقاتها.

وقال سعيد بن المسيب ﷺ: هو ألا يصلي الظهر حتى يأتي العصر، ولا يصلي العصر إلى المغرب، ولا يصلي المغرب إلى العشاء، ولا يصلي العشاء إلى الفجر، ولا يصلي الفجر إلى طلوع الشمس، فمن مات وهو مصرٌّ على هذه الحالة ولم يتب وعده الله بـ«غيٍّ» وهو وادٍ في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه.

وحسب هذا اللاهي عن ذكر الله أن يقرأ قول الله تعالى: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ**﴾ [المنافقون:٩].

قال الذهبي في كتابه «الكبائر»: قال المفسرون: المراد بذكر الله في هذه الآية الكريمة: الصلوات الخمس، فمن اشتغل بماله في بيعه وشرائه ومعيشته وضيعته وأولاده عن الصلاة في وقتها كان من الخاسرين.

نسأل الله ﷻ أن نكون ممن مدحهم في كتابه بقوله: ﴿**وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝**﴾ [المؤمنون: ٩-١١].

وفي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ۝﴾ [المعارج: ٣٤، ٣٥].

وأما بر الوالدين: فاعلم أنه أمر مهم تواترت به الآيات والأخبار وتضافرت عليه القصص والآثار قال الله تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأحقاف:١٥].

وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء:٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد:٢١]، وقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣]، وقوله: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان:١٤].

قال ابن عباس -رضي الله عنهما: شدةً على شدة، وضعفًا على ضعف. وقال مجاهد: مشقةً على مشقة. وقال الزَّجاج: المرأة إذا حملت توالى عليها الضعف والمشقة، ويقال: الحمل: ضعف، والطلق: ضعف.

فانظر في هذه الآية كيف وصَّاك مولاك بالوالدين، فيجب عليك قبول الوصية، وتعهُّد الموصي به، ألا ترى لو أنك أوصاك حاكم عاجز أو سلطان جائر بشخص من رعيته كنت تفتخر به على أقرانك، وتعرف لذلك الشخص حقه، وتعظمه بقلبك، إذ لو لم يكن له قدر عند السلطان لما وصَّى به، وكذلك الوالدان، وكيف لا يكون لهما قدر؛ إذ هما السبب لوجودك، فكما أن الخالق مبدع لوجودك، فالوالدان سبب لذلك، وتأمل ما للخالق من الحقوق والطاعة كذلك لهما، هذا من غير وصية، فكيف وقد وصى!.

ثم انظر كيف أتى بنون العظمة فقال: ﴿وصينا﴾ لينبه أن قدر الوالدين عظيم، إذ العظيم لا يوصي إلا بأمر عظيم، وانظر كيف أتى بصيغة التفضيل من المبالغة، ولم يأت بالأفعال لما في التفعيل من المبالغة والتكثير كأن مولاك -جل قدره وجلاله- يقول: وصيتك بالوالدين وصية بعد وصية، وكان ينبغي لك الإحسان إليهما من غير وصيته، فكيف مع الوصية! وكان يكفي وصية واحدة، فكيف بوصايا كثيرة! ثم من تمام لطفه يقظك بصفة العنوان، حيث سماك بالإنسان،كأن المعنى: ما أتينا بهذه الوصية بهذا اللفظ العظيم إلا ونحن عالمون بنسيانك القديم.

فإيَّاك والنسيان أيها الغافل، فقد كان أقل من هذه المبالغة يكفي العاقل، والمعنى: إن لم تحفظ هذه الوصية فلا تخف من النسيان، وتب إلينا نقبلك على ما كان من سالف العصيان، ونحن أعلم بطبعك القديم، ولذلك سميناك بالإنسان، ولقبناك بهذا اللقب لئلا تيأس من الغفران، فإنا قد رفعنا النسيان والخطأ من سيد ولد عدنان، ثم انظر ذكّرك وحنّنك على والديك حيث أضافهما إليك فقال: ﴿بوالديه﴾، كأن المعنى: لو كانت هذه الوصية في غريب أجنبي لحق لك الامتثال، فكيف بأصليك ووالديك مع وفور شفقتهما عليك! ثم زاد في البيان بسبب هذه التوصية أيها الإنسان، فقال: ﴿حملته أمه﴾ فنبهك جل جلاله على أصلك القذر المهين، وأنك لست أهلاً لهذه الوصية، وإنما نحن أهلناك فنسيت تلك الأصل، وأعجبت بنفسك وشكلك وهيئتك وبطشك وقوتك وأنت أحقر وأصغر وأذل وأصغر: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء:٣٧]، ضربت أمك وشتمتها وسببتها وآذيتها، لو رأيت نفسك وأنت نطفة من رآك استقذرك، أو علقة أو مضغة من شاهدك استحقرك، وكيف قلبتك بقلبها، وحملتك بأحشائها، وحجبتك وسترتك في ذلك الحال المهين في قرار رحمها المكين، وغذتك من غذائها، وسقتك من شرابها، وقاست بحملك السقم، والنصب والوحام، والتعب، إلى أن أُسس بناؤك، وتكاملت أجزاؤك، وكانت بطنها لك أحسن مهاد، واستندت وجلت يمينًا وشمالاً في ذلك المقام إلى أن كمّل تصويرك الملك العلام، وصرت بشرًا سويًّا جميلاً بهيًّا بعينين وأذنين وجبهة وحاجبين ويدين ورجلين ولسان وشفتين، تسر بهجة خلقتك الناظرين، أبرزتك إلى الأرض بخلق كامل، فتبارك الله أحسن الخالقين، وقد قاست بشدة ألم الطلق يعجز عن وصفه ألسن الخلق، فخرجت أعجز ما تكون من تدبير نفسك أيها الغافل، فألقينا في قلبها الشفقة والرحمة، وأنبت لك في صدرها الثديين يجريان بلبن حافل، فلطالما سهرت عليك والناس نيام، وربما كان عليها النوم بسببك حرام، وغسلت بيدها عنك النجاسة، وصرت ذا بطشٍ وسطوة، قابلت رأفتها عليك بالغلظة والقسوة، فأغلظت لها في الكلام، ونسيت الوصية بالاحترام، وربما ضربت الظهر والرأس، ولم تقبل عذل الناس، ونسيت أيها الجبَّار الضعيف نهي مولاك -جل جلاله- عن التأفف، وغفلت عن أصلك المهين، وفعلت فعل المتجبرين، وجعلت مولاك -جل جلاله- من أهون الناظرين.

وبالجملة: فالآثار في الحثِّ على بر الوالدين وإطاعتهما كثيرة؛ لأنها من أفضل القربات،

كيف لا، والبر مأخوذ من اسمه -جل جلاله- البَر، فمن آداب من عرف البر أن يتخلق بالبر لينال من البَرِّ البِرَّ، فإن من كان الله تعالى بارًّا به عصم عن المخالفات نفسه، وأدام بفنون اللطائف أنسه، وطيب فؤاده، وحصل مراده، ووفر طريقه، وجعل التوفيق زاده.

ذكر الغزالي في «إحيائه»(١) أن الله تعالى أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام: يا موسى، إنه من بر والديه وعقني كتبته بارًّا، ومن برني وعق والديه كتبته عاقًّا، فسبحان الكريم، قدّم حق الوالدين على نفسه، ورفع مقام البار بوالديه إلى مقام قدسه.

ويقال: إن الحسن بن علي -رضي الله عنهما- كان لا يأكل مع فاطمة -رضي الله عنها- فقالت له في ذلك، فقال: أخشى أن يقع بصرك على شيء فأسبقك بأخذه ولا أشعر، فأكون عاقًّا فيك، فقالت: كُلْ معي يا بني، وأنت مني في حلٍ.

ويحكى عن الإمام أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه أنه قال: كنت في ابتداء إرادتي صبيًا ولي دون عشر سنين، وكان لا يأخذني النوم في الليل وكنت أصلي فأقسمت على والدتي ليلة أن أبيت معها في الفراش وأنام، فلم أرد مخالفتها، فنمت مع والدتي، وكانت يدي تحت جنبها، فلم أخرجها مخافة أن تنتبه، فلم يأخذني النوم، فقرأت عشرة آلاف مرة ﴿قل هو الله أحد﴾، وعوذتها به.

وكان زين العابدين علي بن الحسن -رضي الله عنهم- من أحسن الناس وجهًا وأطيبهم أرجًا، كثير البر بوالديه، حتى قيل له: إنك أبر الناس بأمك، ولم نرك تأكل معها في إناء واحد، فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها، فأكون قد عققتها.

نادت يومًا ابن عون أمه فأجابها وارتفع صوته على صوتها، فأعتق رقبتين.

وأما الجهاد في سبيل الله: فهو كما قال الشريف الجرجاني: والجهاد هو الدعاء إلى الدين الحق.

فمعناه في الشريعة الإسلامية كما استعمله القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة: إنه جهاد النفس وأهوائها، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين، وجهاد أهل المنكر، وهم الظالمون والفاسقون.

وإن المتأمّل لجوانب الإسلام ليلحظ بلا جهد أن الجهاد مقصود من وراء كل عبادة، ومستهدف كل خلق، ومنبع كل توجيه، وأدب من آدابه، كما أنه مرام كل ضابط من ضوابطه،

---

(١) انظر: «الإحياء» (٢/ ٢١٦).

وتشريع من تشريعاته، فالصلاة والصيام، والحج، والزكاة، والصدق، والبر، والصبر، والعفو، والصفح، والكرم، والطاعة في المعروف، والتوبة، والمراقبة، والعفاف، والقناعة، والوفاء، والوقار، والكف عن أضدادها، كل أنواع السلوك إلى الله، بالله، ولله، صور من الجهاد، وكذا النصيحة لولي الأمر المسلم، والصدع بالحق في وجه حاكم ظالم من أفضل صور الجهاد، كما يقول النبي ﷺ: «**أفضلُ الجهادِ كلمةُ حقٍّ عندَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ**»[1].

وكما أن إقامة شريعة الله كاملة عبادة ومعاملة وحدود وتعازير، جهاد كبير لدرء الفساد، وردع الإجرام والانحراف، وهذا بديهي؛ لأن دورها ومنهجها في الحياة أن يكون الجهاد في أعلى درجاته فريضة يستوي مع الصلاة والزكاة في درجة فرضيتها.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ**﴾ [العنكبوت:٦] كقوله تعالى: ﴿**مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ**﴾ [فصلت:٤٦]، **فقد فسَّر الجهاد بالعمل في هذه الآية الكريمة.**

ثم نقل عن الحسن البصري -رحمه الله- أنه قال: إن الرجل ليجاهد وما ضرب يومًا بالسيف، وفي السورة نفسها وهي سورة مكية يقول عز من قائل: ﴿**وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ [العنكبوت:٦٩]، فالمقصود في هذه الآية الكريمة: إن الذين صبروا على فتنة النفس، فجزاؤهم عند الله التثبت على الطريق، وزيادة الهدى. وقد فسرها بعض العلماء بأن: «الذين يعملون بما يعلمون يهديهم الله لما لا يعلمون».

واعلم أن الإسلام قد رفع ذكر الجهاد في سبيل الله وأعلى من شأنه، متى تحققت أسبابه وبواعثه، فجعل درجته أرفع الدرجات ومنـزلته أسمى المنازل بعد الإيمان، وقد عقد الله -سبحانه وتعالى- بيعة كاملة بينه وبين المؤمنين، لا يتم إيمان إلا بالوفاء بها، يقول ﷻ: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ**﴾ [التوبة:١١١]. لهذا جاهد الرسول ﷺ حق جهاده حتى أتاه اليقين، وهو المجاهد إلى يومنا

---

(١) رواه أبو داود (٤/ ١٢٤)، والترمذي (٤/ ٤٧١)، وابن ماجة (٢/ ١٣٢٩).

هذا، والتاريخ خير شاهد على ذلك، فكان فعله خالصًا لوجه الله، لله وحده.

وما من أيام الجهاد فيهن أحب إلى الله تعالى من هذه الأيام النحسات التي يذوق فيها المسلمون هزائم تلو الأخرى في كل ميدان، ويفقدون فيها الأرض والعرض، غير أن الجهاد المطلوب من طراز آخر غير ما ألف الناس، وأخيرًا الجهاد بالنفس حتى لا نفقد عقائدنا وكل مقوماتنا الأدبية والمادية. وكما يقول ابن قيم الجوزية: إن جهاد الهوى إن لم يكن أعظم من جهاد الكفار فليس بدونه.

قال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد، أي الجهاد أفضل؟ قال: جهادك هواك.

وقال بعضهم: إن الجهاد في الإسلام هو جهاد من أجل فكرة، هذه الفكرة هي ما عبر عنه -سبحانه بـ ﴿سبيل الله﴾، وسبيل الله هو الخير والعدل والحق، فالقتال في الإسلام إنما هو كان من أجل أن يكون الدين كله لله، وألا تكون فتنة، من أجل المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، الذين لا حول لهم ولا قوة، الذين ينالون من عسف الطغاة وبغيهم الشر الكثير، فيضرعون إلى الله سبحانه وتعالى أن ينقذهم من الظلم، والله ينصر جنده ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧]، إنه نعم المولى ونعم النصير.

وقال النووي في قوله «لو استزدته لزادني»: فيه جواز إخبار الإنسان عما لم يقع أنه لو كان كذا لوقع؛ لقوله: لو استزدته لزادني، فدلّ على حسن المراجعة في السؤال، والله أعلم.

وانظر: «شرح مسلم» للنووي (١/ ٣٥٢، ٣٥٦)، و«السراج الوهّاج» للقنوجي (١/ ٧٢)، و«نسمات الأسحار» لسيدي علي بن عطية الهيتي (ص١٢٤، ١٤٧)، و«بر الوالدين» للطرطوشي - ثلاثتهم بتحقيقنا.

الشعب التاسعة عشرة، والعشرون، والواحدة والعشرون:

[ثلاثةٌ من حلاوة الإيمان]

عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثٌ من كنَّ فيه وجَدَ حلاوةَ الإيمان: أن يكونَ الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سِوَاهُمَا، وأنْ يُحِبَّ المرءَ لا يُحِبُّه إلا لله، وأنَ يَكْرَهَ أنْ يَرْجِعَ في الكُفْرِ كما يَكْرِهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ**». أخرجاه في الصحيح[1]

(١) حديث صحيح: رواه البخاري (١/ ١٤)، (١٤)، (١٦)، (٢١)، (٢١)،٦٥٤٢)، ومسلم (١/ ٦٦)، (٤٢)،(٤٣)، والترمذي (٥/ ١٥)، (٢٦٢٤)، والنسائي (٨/ ٩٤، ٩٦)، (٤٩٨٧)، (٤٩٨٨)، (٤٩٨٩)، وابن ماجه (٢/ ١٣٣٨)،(٤٠٣٣)، وأحمد في المسند (٣/ ١٠٣، ١١٣، ١٧٢، ١٧٤)، وأبو يعلى في مسنده (٥/ ١٩٤)، (٢٨١٣) ، (٥/ ٣٥٥)، (٣٠٠٠)، (٥/ ٤٤٠)، (٣١٤٢)، (٦/ ٢٣)، (٣٢٥٦) (٧/ ١٦٣)، (٤٠٩٨)، (٧/ ٢٦٦)، (٤٢٨٢)، وعبد بن حميد في المنتخب (١/ ٣٩٤)، (١٣٢٨)، والطبراني في الكبير (٧٢٤)، (١/ ٢٥١)، وفي الأوسط (١١٤٩)، (٢/ ٣٤)، وفي الصغير =

شرح الحديث: قال الحافظ ابن رجب في «فتح الباري» (١/ ٥٠): وقد خرجه مسلم وعنده في رواية: «**فقد وجد طعم الإيمان**» وجاء في رواية «**طعم الإيمان وحلاوته**»، فهذه الثلاث خصال من أعلى خصال الإيمان، فمن كملها فقد وجد حلاوة الإيمان وطعم طعمه، فالإيمان له حلاوة وطعم يذاق بالقلوب، كما يذاق حلاوة الطعام والشراب بالفم، فإن الإيمان هو غذاء القلوب وقوتها، كما أن الطعام والشراب غذاء الأبدان وقوتها، وكما أن الجسد لا يجد حلاوة ما ينفعه من ذلك، بل قد يستحلي ما يضره، وما ليس فيه حلاوة لغلبة السقم عليه، فكذلك القلب إنما يجد حلاوة الإيمان إذا سلم من أسقامه وآفاته، فإذا سلم من مرض الأهواء المظلمة والشهوات المحرمة وجد حلاوة الإيمان حينئذ، ومتى مرض وسقم لم يجد حلاوة الإيمان، بل يستحلى ما فيه هلاكه من الأهواء والمعاصي.

ومن هنا قال ﷺ: «**لا يزني الزَّاني حينَ يزني وهو مؤمنٌ**»[1].

لأنه لو كمل إيمانه لوجد حلاوة الإيمان فاستغني بها عن استحلاء المعاصي.

وقال ذو النون المصري -قدَّس الله سرَّه-: كما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سفعه، كذلك لا يجد القلب حلاوة العبادة مع الذنوب.

فمن جمع هذه الخصال الثلاث المذكورة في الحديث فقد وجد حلاوة الإيمان وطعم طعمه.

وقال الإمام النووي -رحمه الله- في شرح مسلم (١/ ٢٨٩): هذا حديث عظيم أصل من أصول الإسلام.

فإن ذلك كله يدل على كماله وقدرته وحكمته وعلمه ورحمته.

وقال بعض السلف: من عرف الله أحبه، ومن أحبه أطاعه، فإن المحبة تقتضي الطاعة، كما قال أحد العارفين: المحبة: الموافقة في جميع الأحوال.

وأما محبة الرسول ﷺ: فتنشأ عن معرفته ومعرفة كماله وأوصافه، وعظم ما جاء به، وينشأ ذلك من معرفة مرسله وعظمته، فإن محبة الله لا تتم إلا بطاعته، ولا سبيل إلى طاعته إلا بمتابعة رسوله، كما قال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٣١].

= (٧٢٨)/ (٢/ ٣٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٣٥)، (١٦٢٣)، (٧/ ٧٠)، (٩٥١٢)، وابن منده في الإيمان (١/ ٤٣١)،(٢٨١)،(٢٨٢)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٤٥٢)، (٤٦٨) والديلمي في الفردوس (٢٤٥٠)،(٢/ ٨٣) من طرق عن أبي قلابة عن أنس به، فذكره وبنحوه.

(١) رواه البخاري (٢/ ٨٧٥)، ومسلم (١/ ٧٦).

وفي الجملة: فكان خلقه ﷺ القرآن، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه، فأكمل الخلق من حقق متابعته وتصديقه قولاً وعملاً وحالاً وهم الصِّدِّيقون من أمته الذين رأسهم أبو بكر ﷺ خليفته من بعده، وهم أعلى أهل الجنة درجة بعد النبيين.

وقال الحافظ ابن حجر: وإنما قال: «مما سواهما» ولم يقل: ممن ليعم من يعقل ومن لا يعقل.

وقال الحافظ بن رجب: الثالثة: أن يكره الرجوع إلى الكفر، كما يكره الرجوع إلى النار، فإن علامة محبة الله ورسوله محبة ما يحبه الله ورسوله، وكراهة ما يكرهه الله ورسوله، فإذا رسخ الإيمان في القلب وتحقق به ووجد حلاوته وطعمه أحب ثباته ودوامه والزيادة منه، وكره مفارقته وكانت كراهته لمفارقته أعظم عنده من كراهة الإلقاء في النار، قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات:٧].

فإذا وجد القلب حلاوة الإيمان أحس بمرارة الكفر والفسوق والعصيان، ولهذا قال يوسف ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف:٣٣].

وسُئل ذو النون المصري -قدَّس الله سره-: متى أحب ربي؟ قال: إذا كان ما يكرهه أمرَّ عندك من الصبر.

وقال بشر بن السري -رحمه الله: ليس من أعلام المحبة أن تحب ما يبغضه حبيبك.

وقال الشيخ أبو الهدى الصيادي: ومن المعلوم أن صدق المحبة كمال الاشتغال بالمحبوب، والانحراف عن غيره بالكلية، والصبر على غصص المحبة وتحمُّل أثقالها.

وحسن ما قاله الإمام الجنيد ﷺ حين سُئل عن المحبَّة فقال: من ذهب عن نفسه، واتصل بذكر ربه، وقام بأداء حقوقه، ونظر إليه بقلبه فأحرقت قلبه أنوار هيبته وصفا في مناجاته وشرب من كأس حبه، وكشف له المحبوب أستار غيبه، فهو محب إن تكلم فبالله، وإن نطق فمن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله تعالى.

وقال الجنيد ﷺ أيضًا: رفع السَّري السَّقطي ﷺ إليَّ رفعة وقال: هذه خير من سبعمائة قصة وحديث، وإذا فيها:

وَلَمَّا ادعيت الحب قَالَت كَذبَتني ... فَمَا لِي أَرى الأعضاء مِنك كَوَاسِيا

فَلا حُب حَتى يلصَق القَلبُ بِالحَشَا ... وَتَذبَل حَتى لا تُجِيب المُنَادِيا

وتَفحل حَتى لا يَبقى لَك الهَوى ... سِوَى مُقلَة تَبكِي بِهَا وتُنَاجِيَا

ومن المعلوم أن من كانت هذه صفته انصرفت إلى الله وجهته، وانقطعت عن الأغيار بالكلية كليته، وتمَّ بالله تعالى عزه ونصرته، وهذا سر قوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وانظر: فتح الباري لابن رجب (١/ ٥٠، ٦٣)، وشرح مسلم للنووي (١/ ٢٨٩، ٢٩٠)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ٧٧، ٧٩)، وقلائد الزبرجد شرح حكم مولانا أحمد (١٧٨) بتحقيقنا،وانظر كتابنا الإمام الجنيد سيد الطائفتين.

الشعبة الثانية والعشرون:

[حُب الأنصار]

عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**آيةُ الإيمانِ حُبُّ الأنصارِ، وآيةُ النِّفَاقِ بُغضُ الأنصارِ**». أخرجاه في الصحيح[1].

شرح الحديث: (آية الإيمان) يعني علامته، والأنصار من نصروا الله ورسوله، فمحبتهم من تمام حب الله ورسوله.

فمن محاسن الإيمان الحقيقي: تصديقٌ قلبيٌّ بينه وبين المحبَّة ارتباطٌ من جهة أن المحبة ميل القلب إِلَى المحبوب والإيمان: التصديق القلبي، فيجتمعان فِي القلب، وجعلهما متلازمين، فيلزم من نفِي أحدهما بقاء الآخر، ثم علَّل هذه المحبة بكونها لله تعالى ورسوله، يعني: إن هذه

---

(١) رواه البخاري (١/ ١٤)،(١٧)،(٣/ ١٣٧٩)، (٣٥٧٣)، والنسائي في الصغرى (٨/ ١١٦)، (٥٠١٩)، وفي الكبرى (٦/ ٥٣٤)، وأبو نعيم في المسند المستخرج على مسلم (١/ ١٥٦)، وأحمد في المسند (٣/ ١٣٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ١٩١) (١٥١٠)، وابن منده في الإيمان (٢/ ٦٠٧، ٦٠٨)، (٥٣٢، ٥٣٥)، وابن أبي الدنيا في المتحابين (٨٢)، كلهم من طريق شعبة، عن عبد الله بن جبر عن أنس مرفوعًا.

تكون شرطًا فيها، فلا عبرة بمحبته؛ لعلةٍ غير ذلك، فالمحبَّة اللازمة للإيمان هي المحبَّة لله تعالى ورسوله، بمعنى: إن هذه تكون شرطًا فيها، فلا عبرة للمخالف.

وفي هذا تنبيهٌ عَلَى زيادة وزر من فاه بلسانه بحرفٍ واحدٍ في حقِّه، وإعلام بتعظيمه وتعظيم آل بيته، ومن أوصى بمحبتهم ﷺ.

وفي صحيح مسلم (٧٦، ٧٧) عن أبي سعيد وأبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«لا يُبْغِضُ الأنصارَ رجلٌ يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ»**.

وقال الحافظ ابن حجر: خصوا بهذه المنقبة العظمى لما فازوا به دون غيرهم من القبائل من إيواء النبي ﷺ ومن معه، والقيام بأمرهم ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم، فكان منيعهم لذلك موجبًا لمعاداتهم جميع الفرق الموجودين من عرب وعجم، والعداوة تجر البغض، ثم كان ما اختصوا به مما ذكر موجبًا للحسد، والحسد يجر البغض، فلهذا جاء التحذير من بغضهم، والترغيب في حبهم حتى جعل ذلك آية الإيمان والنفاق تنويهًا بعظيم فضلهم، وتنبيهًا على كريم فعلهم، وإن كان من شاركهم في معنى ذلك مشاركًا لهم في الفضل المذكور كُلٌّ بقسطه.

وقال الحافظ ابن رجب: فمحبة أولياء الله وأحبابه عمومًا من الإيمان، وهي من أعلى مراتبه، وبغضهم محرم فهو من خصال النفاق؛ لأنه مما لا يتظاهر به غالبًا، ومن تظاهر به فقد تظاهر بنفاقه فهو شر ممن كتمه وأخفاه.

ومن كان له مزيَّةٌ في الدين لصحبته النبي ﷺ أو لقرابته أو نصرته، فله مزيد خصوصية في محبته وبغضه.

ومن كان من أهل السوابق في الإسلام كالمهاجرين الأولين فهو أعظم حقًّا مثل الإمام علي ﷺ.

وانظر: الفتح لابن رجب (١/ ٦٤، ٦٦)، ولابن حجر (١/ ٨٠، ٨١) وشرح مسلم للنووي (١/ ٣٤٢)، والسراج الوهاج على مختصر مسلم للقنوجي (١/ ١٠٥) بتحقيقنا.

الشعبة الثالثة والعشرون

[حب لأخيك ما تحب لنفسك]

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يؤمنُ أحدُكُم حتَّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسِهِ**».

أخرجاه في الصحيح [1].

شرح الحديث: قال الإمام النووي: قال العلماء -رحمهم الله: معناه لا يؤمن الإيمان التام، وإلا فأصل الإيمان يحصل لمن لم يكن بهذه الصفة، والمراد يحب لأخيه من الطاعات والأشياء المباحات، ويدل عليه ما جاء في رواية النسائي في هذا الحديث، وهذا قد يعد من الصعب الممتنع وليس كذلك؛ إذ معناه لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه في الإسلام ما يحب لنفسه، والقيام بذلك يحصل بأن يحب له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها، بحيث لا تنقص النعمة على أخيه شيئًا من النعمة عليه، ذلك سهل على القلب السليم، وإنما يعسر على القلب الفعل، عافانا الله وإخواننا أجمعين.

وقال العلامة الكرماني: ومن الإيمان أيضًا أن يبغض لأخيه ما يبغضه لنفسه من الشر، ولم يذكره، لأن حب الشيء مستلزم لبغض نقيضه، فترك التنصيص عليه اكتفاء.

وقال ﷺ فيمن ينفق ماله في طاعة الله: «**لوْ أنَّ لي مالاً لفعلتُ فيه كما فعلَ هذا، فَهُمَا في الأجرِ سَوَاءٌ**» رواه الترمذي (٤/ ٥٦٢) بنحوه.

وإن كانت دنيوية فلا خير في تمنيها كما قال تعالى: **﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ قَالَ**

---

(١) **حديث صحيح**: رواه البخاري (١/ ١٤)، (١٣)، ومسلم (١/ ٧١)، (٤٥)، والترمذي (٢٥١٥)، (٤/ ٦٦٧)، (٨/ ١١٥)، (٥٠١٧)،(٥٠٣٩)، (٨/ ١٢٥)، وابن ماجه (٦٦)، (١/ ٢٦)، وأحمد في المسند (٣/ ١٧٦، ٢٥١، ٢٠٦)، وأبو نعيم في المسند المستخرج (١٦٦)، وأبو عوانة في المسند (٩١)، (١/ ٤١)، والدارمي (٢٧٤٠)،(٢/ ٣٩٧)، والطبراني في الصغير (٧٠٠)، (٢/ ١٨)، والطيالسي (٢٠٠٤)، (١/ ٢٦٨)، وأبو يعلى في مسنده (٢٨٨٧)، (٢٩٥٠)، (٢٩٥١)،(٣١٨٢)،(٣١٨٣)، (٣٢٥٧)، وعبد ابن حميد في المنتخب (١/ ٣٥٤)،(١١٧٤) والقضاعي في الشهاب (٨٨٨)، (٢/ ٦٣)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٥٠٠)، (١١١٢٥)، وابن منده في الإيمان (٢٩٤)،(١/ ٤٤١)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٦٢٠)، عن قتادة عن أنس مرفوعًا، وبنحوه، وبزيادة في بعض الروايات.

ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [القصص:٧٩].

وأما قوله الله ﷻ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [النساء:٣٢]، فقد فسر ذلك بالحسد، وهو تمني الرجل نفس ما أعطي أخوه من أهل ومال، وأن ينتقل ذلك إليه، وفسر بتمني ما هو ممتنع شرعًا أو قدرًا كتمني النساء أن يكن رجالاً أو يكن لهن مثل ما للرجال من الفضائل الدينية كالجهاد، والدنيوية كالميراث والعقل والشهادة، ونحو ذلك.

وقيل: إن الآية تشمل ذلك كله، ومع هذا كله فينبغي للمؤمن أن يحزن لفوات الفضائل الدينية، ولهذا أمر أن ينظر في الدين إلى من هو فوقه، وأن ينافس في طلب ذلك جهده وطاقته كما قال الله تعالى﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦]، ولا يكره أن أحدًا يشاركه في ذلك، بل يحب للناس كلهم المنافسة فيه، ويحثهم على ذلك، وهو من تمام أداء النصيحة للإخوان.

كما قال الفضيل بن عياض-رحمه الله تعالى: إن كنت تحب أن يكون للناس مثلك فما أديت النصيحة لربك، وكيف وأنت تحب أن يكونوا دونك؟ يُشير إلى أن النصيحة لهم أن يحب أن يكونوا فوقه، وهذه منـزله عالية ودرجة رفيعة في النصح، وليس ذلك بواجب، وإنما المأمور به في الشرع أن يحب أن يكونوا مثله، ومع هذا فإذا فاقه أحد في فضيلة دينية اجتهد على إلحاقه، وحزن على تقصير نفسه وتخلفه عن لحاق السابقين، لا حسدًا لهم على ما آتاهم الله، بل منافسة لهم وغبطة، وحزنًا على النفس بتقصيرها وتخلفها عن درجات السابقين.

وقال ابن مسعود ﷺ: لو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لأتيته.

وقال ابن رجب أيضًا: وفي الجملة: فينبغي للمؤمن أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، فإن رأى في أخيه المسلم نقصًا في دينه اجتهد في إصلاحه.

قال بعض الصالحين من السلف: أهل المحبة نظروا بنور الله، وعطفوا على أهل معاصي الله، مقتوا أعمالهم وعطفوا عليهم ليزيلوهم بالمواعظ عن فعالهم، وأشفقوا على أبدانهم من الله، ولا يكون المؤمن مؤمنًا حقًّا حتى يرضى للناس ما يرضاه لنفسه، وإن رأى في غيره فضيلة فاق بها عليه، فيتمنى لنفسه مثلها، فإن كانت تلك الفضيلة دينية كان حسنًا، وقد تمنى النبي ﷺ لنفسه منـزلة الشهادة، وقال ﷺ: «**لا حسدَ إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله مالاً فهو يُنفقه آناء الليل وآناء النهار، ورجلٌ آتاه الله القرآن فهو يقرأه آناء الليل وآناء النهار**»، رواه البخاري (١/ ٣٩)، ومسلم (١/ ٥٥٨).

وقال الحافظ ابن رجب: فإذا أحب المؤمن لنفسه فضيلة من دين أو غيره أحب أن يكون لأخيه نظيرها من غير أن تزول عنه، كما قال ابن عباس: إني لأمر بالآية من القرآن فأفهمها، فأود الناس كلهم فهموا منها ما أفهم.

وقال الإمام الشافعي ﷺ: وددتُ أن الناس كلهم تعلموا هذا العلم، ولم ينسب إليّ منه شيء.

فأما حب التفرد عن الناس بفعل ديني أو دنيوي فهو مذموم قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص:٨٣].

وقد قال الإمام عليٌّ ﷺ وغيره: هو ألاّ يُحبَّ أن يكون نعلُه خيرًا من نعل غيره، ولا ثوبُه خيرًا من ثوبه.

قلت: رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٠/ ٧٩).

وفي الحديث الصحيح: «**من تعلَّمَ العلمَ ليُبَاهِي به العلماءَ أو يُماريَ به السفهاء أو يَصْرِفَ به وجوهَ النَّاسِ إليه فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**» كما في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦٤٨).

ثم قال ابن رجب: وبالجملة: أصل المحبة الميل إلى ما يُوافق المحبَّ، ثم الميل قد يكون لما يستلذه الإنسان ويستحسنه كحسن الصورة والصوت والطعام ونحوها، وقد يستلذه بعقله للمعاني الباطنة كمحبة الصالحين والعلماء وأهل الفضل مطلقًا، وقد يكون لإحسانه إليه ودفعه المضار والمكاره عنه، وهذه المعاني كلها موجودةٌ في النبي ﷺ لما جمع من جمال الظاهر والباطن، وكمال خلال الجلال، وأنواع الفضائل، وإحسانه إلى جميع المسلمين بهدايته إياهم إلى الصراط المستقيم، ودوام النعم والإبعاد من الجحيم، وقد أشار بعضهم إلى أن هذا متصور في حق الله تعالى، فإن الخير كله منه -سبحانه وتعالى- قال ما لك وغيره: المحبة في الله من واجبات الإسلام، هذا كلام القاضي رحمه الله.

وقال ابن رجب: ومحبَّة الله تنشأ تارةً من معرفته، وكمال معرفته تحصلُ من معرفة أسمائه وصفاته وأفعاله الباهرة، والتفكر في مصنوعاته، وما فيها من الإتقان والحكم والعجائب، وينبغي للمؤمن ألا يزال يرى نفسه مقصرًا عن الدرجات العالية فيستفيد بذلك أمرين نفيسين: الاجتهاد في طلب الفضائل والازدياد منها، والنظر إلى نفسه بعين النقص،

وينشأ من هذا أن يحب للمؤمنين أن يكونوا خيرًا منه؛ لأنه لا يرضى لهم أن يكونوا على مثل حاله، كما أنه لا يرضى لنفسه بما هي عليه، بل يجتهد في صلاحها، وقد قال محمد بن واسع -رحمه الله- لابنه: أما أبوك فلا كثَّر الله في المسلمين مثله، فما كان ليرضى عن نفسه، فكيف يحب للمسلمين أن يكونوا مثله مع نُصحه لهم، بل هو يحب للمسلمين أن يكونوا خيرًا منه، ويحب لنفسه أن يكون خيرًا مما هو عليه.

وقال أبو الحسن الشاذلي -قدَّس الله سرَّه: من أحب الله وأحب لله فقد تمت ولايته لله، فقد أحب الله من لا محبوب له سواه، وأحب له من لا يحب شيئًا لهواه، وأحب لقاءه من ذاق أُنس مولاه، ويتمحَّض لك الحب له في عشرة فاعتبرها فيما وراءها: في الرسول ﷺ، والصدِّيق، والفاروق، وعثمان، وعلي، والصحابةوالتابعين، والأولياء، والعلماء الهداة إلى الله، والشهداء، والصالحين، فإذا افترق الأمر بعد الإيمان إلى عشرة أشياء: إلى السنة، والبدعة، والهداية، والضلالة، والطاعة، والمعصية، والعدل، والجور، والحق، والباطل، مَيِّزت وأحببت وأبغضت، وقد يجمع لك الوصفات في شخصٍ واحد، ويجب عليك القيام بحقهما جميعًا، وقد بان لك الحب لله في العشرة الأُول، فانظر: هل للهوى هناك أثر؟ فإن كان ذلك فاعتبر حب من حضر من إخوانك الصادقين والمشايخ الصالحين والعلماء المهدين، وسائر من حضر بمن غاب عنك أو مات، فقد خلص الحب من الهوى وثبت الحب لله، وإن وجدت شيئًا يتعلق فيمن تحب أو فيما تحب، فارجع إلى العلم واتقن النظر في الأقسام الخمسة: من الواجب، والمندوب، والمكروه، والمحظور، والمباح.

وانظر: «شرح مسلم» للنووي (١/ ٢٩٢)، و«فتح الباري» لابن رجب الحنبلي (١/ ٤٥، ٤٧)، و«جامع العلوم والحكم له» (ص١٥١، ١٥٥)، و«فتح الباري» لابن حجر(١/ ٧٣)، و«الجامع في أصول الأولياء» لضياء الدين الخالدي (ص٨٠) بتحقيقنا.

الشعب الرابعة، والخامسة، والسادسة والعشرون

[إكرام الضيف، وعدم إيذاء الجار، وقول الخير أو الصمت]

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ كانَ يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ فلا يُؤذي جارَه، ومن كانَ يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، ومن كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ». أخرجاه في الصحيح**[1].

(١) حديث صحيح: رواه البخاري (٥/ ٢٢٤٠)، (٥٦٧٢)، (٥/ ٢٢٧٢)، (٥٧٨٤)، (٥٧٨٥)، (٦١٠٩)، ومسلم (٤٧)، (٤٨)، والترمذي (٢٥٠٠)، (٤/ ٦٥٩)، وأبو داود (٥١٥٤)، (٤/ ٣٣٩)، =

شرح الحديث: في بعض ألفاظ الحديث: «**فليُحْسِنْ قِرَى ضَيْفِهِ**»، وفي بعضها: «**فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**» بدل ذكر الجار.

فقوله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر**» فليفعل كذا وكذا يدل على أن هذه الخصال من خصال الإيمان، ومن المعلوم أن الأعمال تدخل في الإيمان.

وقد أمر النبي ﷺ المؤمن بألا يؤذي جاره، وفي بعض الروايات الأمر بإكرام الجار.

فإن أذى الجار هو أشد تحريمًا، وقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي شريح مرفوعًا: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن! قيل: من يا رسول الله؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه**». البخاري (٥/ ٢٢٤٠)، ومسلم (١/ ٦٨).

وأما إكرام الجار والإحسان إليه: فمأمور به.

فقد أشار الشارع الحكيم إلى رعاية خواطر الجيران أكثر من خواطر الأقارب؛ لأن خواطر الأقارب مجبورة بالقرابة، والجيران ليس لهم هذا الحظ، وهذا سر قوله ﷺ في الحديث.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها وابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين قال:

«**مَا زالَ جبريلُ يُوصيني بالجارِ حتَّى ظننتُ أنهُ سيُورثهُ**». في البخاري (٥/ ٢٢٣٩)، ومسلم (٤/ ٢٠٢٥).

فمن أنواع الإحسان إلى الجار مواساته عند حاجته.

وفي المسند (١/ ٥٤) عن عمر رضي الله عنه مرفوعًا: «**لا يَشبعُ المؤمنُ دُونَ جَارِهِ**».

وأما إكرام الضيف، فالمراد: إحسان ضيافته.

وقد خرَّج الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ يُؤمنُ بالله وَاليومِ الآخر فليُكْرم ضَيفهِ قالها ثلاثاً، قالوا: وما إكرام الضيف يا رسول الله؟ قال: ثلاثة أيامَ فما زادَ بعد ذلك فهو صدقةٌ**».

= وأحمد في المسند (٢/ ١٧٤، ٥٦٧، ٤٣٣) والبيهقي في الشعب (٧/ ٧٥)، (٩٥٣٢)، وابن منده في الإيمان (٣٠٢)، وابن المبارك في الزهد (٣٧٢)، وهناد في الزهد (١١٠٥)، وأبو نعيم في مسنده على مسلم (١/ ١٣٥)، وابن حبان في صحيحه (٥١٦)، (٢/ ٢٧٣)، كلهم من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا

ففي الأحاديث دلالة أن جائزة الضيف يوم وليلة، وأن الضيافة ثلاثة أيام.

ثم قال ابن رجب: فالضيافة نفقة واجبة، ولا تجب إلا على من عنده فضل عن قُوته وقُوت عِياله كنفقة الأقارب وزكاة الفطر.

ثم قوله ﷺ: «**فليقلْ خيرًا أو ليصمتْ**»: فإن استقامة اللسان من خصال الإيمان، وأن ما ليس بخير من الكلام، فالسكوت عنه أفضل من التكلم به، اللهم إلا ما تدعو إليه الحاجة كما لابد منه.

قال محمد بن عجلان: إنما الكلام أربعة: أن تذكر الله، وتقرأ القرآن، وتسأل عن علم فتخبر به، أو تكلم فيما يعنيك من أمر دنياك.

وقال رجل لسلمان ﷺ: **أوصني؟** قال: لا تتكلم، قال: ما يستطيع من عاش في الناس **ألا يتكلم! قال: فإن تكلمت، فتكلم بحق أو اسكت.**

والمقصود أن النبي ﷺ أمر بالكلام بالخير، والسكوت عمّا ليس بخير.

وسُئل ابن المبارك عن قول لقمان لابنه: إن كان الكلام من فضة، فإن الصمت من ذهب؟ فقال: معناه لو كان الكلام بطاعة الله من فضة، فإن الصمت عن معصية الله من ذهب، وهذا يرجع إلى أن الكف عن المعاصي أفضل من عمل الطاعات.

وتذاكروا عند الأحنف بن قيس أيها أفضل الصمت أو النطق؟ فقال قوم: الصمت أفضل، فقال الأحنف: النطق أفضل ؛لأن فضل الصمت لا يعدو صاحبه، والمنطق الحسن ينتفع به من سمعه.

وبكل حال فالتزام الصمت مطلقًا واعتقاده قربة، إما مطلقًا، أو في بعض العبادات كالحج والاعتكاف والصيام منهي

وقال الشيخ محيي الدين بن العربي ﷺ حكمته: «**والراحة في العزلة**».

قال الشيخ الباني في شرحها: ورأيت (الراحة) الكاملة التي لا تكون مشوبة بتعب ولا مشقة لا عاجلاً ولا آجلاً (في العزلة) التامة التي هي إحدى أمهات الخير المتضمنة للخير كله، وهي السهر والجوع والصمت والعزلة اثنان فاعلان، وهما الثاني والأخير، واثنان منفعلان وهما الأول والثالث، والعزلة التامة هي أن تكون في حسه بأن يلازم بيته أو

السواحل أوالجبال أو الصحاري أوالمفازات بالسياحة فيها، وفي حاله أيضًا بأن يبعد ويخرج عن كلِّ صفة ذميمة، وأخلاق دنيَّة، وبقلبه أيضًا فيقمعه عن التعلق بما سوى الله، فلا يتعلق قلبه إلا بالله، فعلى قدرها تكون الراحة كمالاً ونقصًا.

وقال الشيخ في حكمة أخرى: «**والحكمة في الصمت**».

قال الباني: ورأيت (الحِكمة) الإلهية (في الصمت) بألاّ يتكلم مع مخلوق إلا بما كان فرضًا عليه ولا مع نفسه بألاّ يُحدث نفسه بشيء مما يرجو تحصيله، فالحكمة الكاملة لا توجد إلا في الصمت، ولهذا كان السكوت أعلى علم بالله ومراتب تجلياته لمن يقول بالعجز ويعترف به لعدم تميزه بين المراتب في عين علمه بها فيقول: العجز عن درك الإدراك إدراك.

وفي الحديث: «مَنْ صَمَتَ نَجَا[1]»، ولا نجاة لغير الحكيم، فلا حكيم إلا الصامت، وإنما الحكمة له لا لغيره إلا تبعًا، فالذي أعطاه العلم السكوت، والصمت أصالة هو خاتم الرسل -صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين- ويمكن أن يكون المعنى: إن الحِكَمة لا توجد إلا في الصمت، ولا يوصف بها إلا الصامت.

وقال العالم الرباني القطب الصمداني السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني -قُدِّس سرُّه: الناس أربعة رجال: رجل لا لسان له ولا قلب،وهو العامي لا خير فيه ولا وزن له إلا أن رحمه الله تعالى برحمته، ويهدي قلبه للإيمان به، ويحرك جوارحه للطاعة له تعالى، فاحذر أن تكون منه، وأن تلذ به، وأن تأخذ منه شيئًا.

ورجل لسان بلا قلب فينطق بالحكمة ولا يعمل بها، يدعو الناس إلى الحق تعالى وهو يفر منه، وهو الذي حذر منه النبي ﷺ بقوله: «**أخوف ما أخاف على أمتي علماء السوء**[2]»، فنعوذ بالله من هذا فابعد منه لئلا يخطفك بلذيذ لسانه فتحرقك نار معاصيه ويقتلك نتن باطنه.

ورجل قلب بلا لسان، وهو مؤمن ستره الله تعالى عن خلقه، وبصره بعيوب نفسه، ونوَّر قلبه، وعرفه غوائل مخالطة الناس وشؤم النطق، وتيقن أن السلامة في الصمت كما في

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ١٥٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٥٤)، وذكره المناوي في فيض القدير (٦/ ١٧١).

(٢) ذكره المناوي في فيض القدير (١/ ١٤٠) بنحوه.

الحديث: «من صمت نجا»(١).

وقال أحد العلماء: العبادة عشرة أجزاء تسعة في الصمت فهذا ولي الله والخير كل الخير عنده، فدنوك ومصاحبته، وخدمته، وقضاء حوائجه تدخل في زمرة الصالحين ببركته، ورجل لسان وقلب وهو المذكور أولاً المدعو في الملكوت بالعظيم فلا تجانبه، واقبل منه النصائح، وهو أكمل مما قبله، فمن تكلم بحكمة عن حقيقة دون تحقق كالعلماء وأهل البداية فيفيد العلم والفهم دون التأثير، ومن تكلم بها عن تحقق وتمكن كالعارفين الواصلين فيفيد التأثير أيضًا؛ لأن أنوارهم سبقت أقوالهم، فإنما ينطقون بما يناسب الحكمة على حسب حال الناس منها فتصل إلى قلوب السامعين، فتؤثر فيها وتتمكن، ولم يمنع من التمكن إلا الجحود والضلال كحال أهل الكفر حيث جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم خوفًا من التمكن؛ لأنه ما أنكر كلام الأنبياء أحد من حيث ذاته، وأقروا بحسنه، وصرحوا بكماله إلا أنهم جحدوا حقيقته عنادًا، فقالوا: ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١] ﴿هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [النمل: ١٣]، وغير ذلك.

وكلام الأنبياء والأولياء كان عن إذن وما هو عن الإذن فيخرج، وعليه حلاوة وكسوة الأنوار وما هو عن غير الإذن فيخرج مكسوف الأنوار.

والإذن يختلف بحسب الأوقات والحالات والأشخاص، ولهذا فإن الرجلين يتكلمان بحقيقة واحدة فتقبل من واحد، وترد على الآخر، وتقبل أيضًا من شخص في وقت، وترد عليه في وقت آخر، والواحد أيضًا يتكلم بها فيقبل منه شخص، ويردها آخر في وقت واحد، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

فعلم مما تقرر أن الذي يؤخذ منه العلم رجلان: الذي قلب بلا لسان، والذي قلب ولسان، والأخذ من غيرهما خسران وحرمان.

قلت: وأذكر حديث عقبة بن عامر ﷺ حينما سأل النبي ﷺ ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك، وابك على خطيئتك، وليسعك بيتك».

رواه الطبراني في الكبير (١٧/ ٢٧٠) بإسناد جيد.

قلت: وهذا الحال الذي حصل له من الحديث النبوي لازمه حتى بعد وفاته.

فقبره ﷺ بعيدٌ عن الأعين في عزلة عجيبة هادئة تنبئ عن أنه من أهل النجاة أصحاب الصمت المحمود، فقد آثر العزلة حتى بعد انتقاله من الدنيا.

---

(١) رواه الترمذي في (٤/ ٦٦٠)، وأحمد في المسند (٢/ ١٥٩) والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٥٤).

وانظر: «جامع العلوم والحكم» (ص١٦٧، ١٨٠)، و«الصمت» لابن أبي الدنيا، و«شرح مسلم» (١/ ٢٩٤، ٢٩٦)، و«شرح الحكم الأكبرية» (ص٤٨١)، بتحقيقنا.

الشعبة السابعة والعشرون:

[إفشاء السلام] [٣/ ص]

عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَالذِي نفسِي بيدِهِ لا تَدْخُلُون الجَنَّةَ حتَّى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حتَّى تَحَابُّوا، ألا أَدُلُّكُمْ على أمرٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُم**[١]». رواه مسلم من هذا الوجه.

شرح الحديث: قال الإمام النووي: معناه: لا يكمل إيمانكم ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب.

وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح -رحمه الله-:معنى الحديث: لا يكمل إيمانكم إلا بالتحاب، ولا تدخلوا الجنة عند دخول أهلها إذا لم تكونوا كذلك، وهذا الذي قاله محتمل، والله أعلم.

وأما قوله ﷺ: «أفشوا السلام بينكم» فيه الحث العظيم على إفشاء السلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تكمن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس، ولزوم التواضع، وإعظام حرمات المسلمين.

وقد ذكر البخاري -رحمه الله- في صحيحه عن عمّار بن ياسر ﷺ أنه قال: «ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار».

وروى غير البخاري هذا الكلام مرفوعًا إلى النبي ﷺ، وبذل السلام للعالم أحرى، وهو

---

(١) حديث صحيح: رواه مسلم (٥٤) (١/ ٧٤) وأبو داود (٥١٩٣)، (٤/ ٣٥٠)، والترمذي (٢٦٨٨)، (٥/ ٥٢)، وابن ماجه (٦٨)، (١/ ٢٦)، (٣٦٩٢)، (٢/ ١٢١٧)، وأحمد في المسند (٢/ ٤٤٢، ٤٧٧، ٤٩٥، ٥١٢)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٤٥٩)، (٥٣٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٧٤٥)، وابن منده في الإيمان (٣٢٨)، (٣٣٠)، (٣٣٣)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٤٤٨)، (٤٦٢)، والديلمي في مسند الفردوس (٧٠٧١)، (٤/ ٣٦٩)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٣٢)، وأبو نعيم في المستخرج (١/ ١٤١)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٤٧٢)، كلهم من طريق أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا.

أنه يتضمن رفع التقاطع والتهاجر والشحناء وفساد ذات البين التي هي الحالقة، وأن سلامه لله لا ينفع فيه هواه، ولا يخصُّ أصحابه وأحبابه به، والله سبحانه أعلم.

وانظر: «شرح مسلم» (٢/ ٣٦) و«فتح الباري» (١١/ ١٨) و«التمهيد» (٦/ ١٢٠).

الشعب الثامنة، والتاسعة والعشرون:

[ثواب الصيام والقيام]

عن أبي سلمة، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ صامَ رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، ومن قامَ ليلةَ القَدْرِ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**».

رواه البخاري[1].

شرح الحديث: قال الحافظ ابن حجر: (احتسابًا)؛ لأن الصوم إنما يكون لأجل التقرب إلى الله، والنية شرط في وقوعه قربة إلى الله.

والمراد بالإيمان الاعتقاد بحق فرضية صومه، وبالاحتساب طلب الثواب من الله تعالى.

وقال الخطابي: احتسابًا، أي: عزيمة، وهو أن يصومه على معنى الرغبة في ثوابه طيبة نفسه بذلك غير مستقل لصيامه، ولا مستطيل لأيامه.. انتهى.

وفيه الحصر على تحري ليلة القدر في رمضان، وقيامها بنية صادقة وخالصة لله ﷻ.

وقوله: (غفر له...) ظاهره يتناول الصغائر والكبائر، وبه جزم ابن المنذر.

وقال النووي: المعروف أنه يختص بالصغائر، وبه جزم إمام الحرمين، وعزاه القاضي عياض لأهل السنة.

وقال أحدهم: ويجوز أن يخفف من الكبائر إذا لم يصادف صغيرة.

---

(١) وانظر: فتح الباري (٤/ ١١٥، ٢٥٠، ٢٥٢)

الشعبة الثلاثون، والواحدة والثلاثون

[فضل اتباع الجنائز وتشييعها]

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَبِعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إيمانًا واحتسابًا وصلّى عليها، ثم تَبِعَهَا حتَّى يُوضَعَ في قَبْرِهِ كانَ له من الأجرِ قِيرَاطَانِ أَحَدُهُمَا مِثْلُ أُحُدٍ، ومَنْ صَلّى عليهِ ثُمَّ رَجَعَ كانَ له قيراطٌ**[1]» رواه البخاري.

شرح الحديث: القيراط بكسر القاف. قال الجوهري: أصله قراط بالتشديد، لأن جمعه قراريط، فأبدل من أحد حرفي تضعيفه ياء، قال: والقيراط نصف دانق، وقال قبل ذلك: الدانق سدس الدرهم، فعلى هذا يكون القيراط جزءًا من اثني عشر جزءًا من الدرهم.

وأما صاحب النهاية ابن الأثير فقال: القيراط جزء من أجزاء الدينار وهو نصف عُشره في أكثر البلاد، وفي الشام جزء من أربعة وعشرين جزءًا.

ونقل ابن الجوزي عن ابن عقيل أنه كان يقول: القيراط نصف سدس درهم أو نصف عُشر دينار.

والإشارة بهذا المقدار إلى الأجر المتعلق بالميت في تجهيزه وغسله، وجميع ما يتعلق به، فالمصلي له قيراط من ذلك، ولمن شهد الدفن قيراط، وذكر القيراط تقريبًا للفهم، لما كان الإنسان يعرف القيراط ويعمل العمل في مقابله وعُد من جنس ما يعرف، وضرب له المثل بما يعلم. انتهى.

ثم قال الحافظ: فهذا يدل على أن لكل عمل من أعمال الجنازة قيراطًا، وإن اختلفت مقادير القراريط ولاسيما بالنسبة إلى مشقة ذلك العمل وسهولته.

وانظر: الفتح لابن حجر العسقلاني (٣/ ١٩٤).

---

(١) **حديث صحيح**: رواه البخاري (١/ ٤٤٥)، ومسلم (٢/ ٦٥٣)، والترمذي (٣/ ٣٥٩، ٣٦٠)، وأبو داود (٣/ ٢٠٢)، والنسائي (٤/ ٥٤، ٥٥، ٧٧)، وأحمد في المسند (٢/ ٢، ١٦، ٣٣٠، ٤٥٨، ٤٩٣، ٥٢١، ٥٣١)، وأبو يعلي في مسنده (١/ ٢١٧)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٢٥٠)، والبغوي في مسند ابن الجعد (٢٨٤٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ١٢)، وعبد الرزاق في المصنف (٣/ ٤٥٠)، والطبراني في الأوسط (٢١٣٣)، (٤٣٠٨)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٥٨٤)، وأبو نعيم في المسند المستخرج (٣/ ٥٨٤)، وابن حبان في صحيحه (٧/ ٣٤٩)، كلهم من طرق عن أبي هريرة مرفوعًا بنحوه بألفاظ متقاربة.

الشعبة الثانية والثلاثون:

[الخروج في سبيل الله]

لحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَضْمَنُ الله لمنْ خَرَجَ في سَبِيلِهِ لا يُخْرِجُهُ إلا إيمانٌ بِي، وتَصْدِيقٌ بِرَسُولِي [بأن يُدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة]**».

أخرجاه في الصحيحين[1].

فائدة من شرح الحديث: قوله: (لا يخرجه إلا إيمان بي..) أي: لا يكون دافع خروجه وجهاده ورفعه لكلمة الله إلا تصديقه الجازم وعقيدته الصحيحة في الله ﷻ، وفي رسوله إمام المجاهدين ﷺ. انظر: «فتح الباري» (١/ ٩٣).

الشعبة الثالثة والثلاثون

[من محض الإيمان وصريحه]

عن أبي هريرة قال: قال رجلٌ يا رسول الله، **إنَّ أحدَنَا لَيُحَدِّثُ نفسَه بشيءٍ ما يُرِدْ أنَّه تَكَلَّمَ بِهِ، وإنَّا لنَا ما على الأرضِ من شيءٍ، فقالَ: «ذَاكَ مَحْضُ الإيمانِ»**[2].

وروي عن ابن مسعود[3] قال: شكا [رجل] إلى رسول الله ﷺ الوسوسة، قال: «ذاك

---

(١) حديث صحيح: رواه البخاري (١/ ٢٢)، (٣/ ١١٣٥)، (٦/ ٣٧١٣)، ومسلم (١/ ١١٩)، والنسائي (٦/ ١٦)، (٨/ ١١٩)، وابن ماجه (٢/ ٩٢٠)، وابن أبي شيبة في المصنف (٤/ ٢٠٢)، والحميدي في مسنده (٢/ ٤٦٥)، والبيهقي في الشعب (٤/ ١٧)، وفي الكبرى (٩/ ٣٩، ١٥٧)، وابن منده في الإيمان (١/ ٣٩٥، ٣٩٧)، وأبو عوانة (٤/ ٤٥٢، ٤٥٤، ٤٥٦)، من طرق عن أبي هريرة مرفوعًا بألفاظ متقاربة، وليس هذا لفظ مسلم، وفي بعضها «الجهاد» بدل «الإيمان»، وبكلماته بدل «برسلي»، وفي بعضها زيادة.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١/ ١١٩)، (١٣٢) (١٣٣)، وأبو داود (٤/ ٥١١١)، وأحمد في المسند (٢/ ٤٥٦)، والطيالسي في مسنده (١/ ٣١٦)، (٢٤٠١)، وابن منده في الإيمان (٣٤٠)، (١/ ٤٧١)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٩٥)، (٦٥٤)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٣٥٩)، وأبو عوانة في مسنده (١/ ٧٧)، والنسائي في الكبرى (٦/ ١٧٠)، (١/ ٤٧٤)، من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه به، فذكره.

(٣) هكذا في الأصل، والذي في هامشه مصحَّحًا عن أبي هريرة

محض الإيمان»[١]. [رواه مسلم].

شرح الحديث: قال الإمام النووي -رحمه الله- فقوله ﷺ: (ذلك صريح الإيمان ومحض الإيمان) معناه: استعظامكم الكلام به هو صريح الإيمان، فإن استعظام هذا وشدة الخوف منه من النطق به فضلاً عن اعتقاده إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالاً محققًا، وانتفت عنه الريّبة والشكوك، واعلم أن الرواية الثانية وإن لم يكن فيها ذكر الاستعظام فهو مراد.

ومعناه أن الشيطان إنما يوسوس لمن أيس من إغوائه، فينكد عليه بالوسوسة لعجزه عن إغوائه، وأما الكافر فإنه يأتيه من حيث شاء ولا يقتصر في حقه على الوسوسة، بل يتلاعب به كيف أراد، فعلى هذا الحديث سبب الوسوسة محض الإيمان، أو الوسوسة علامة محض الإيمان، وهذا القول اختيار القاضي عياض. وانظر: «شرح مسلم» (١/ ٤٣٣، ٤٣٤).

الشعبة الرابعة والثلاثون

[البذاذة من الإيمان]

عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْبَذَاذَةَ مِنَ الإِيمَانِ»[٢].

شرح الحديث: فائدة: قال المروزي: قال أبو سلمة: البذاذة: الهيئة الرَّثة. وقال أبو داود: يعني التقحل، وهو أبو أمامة بن ثعلبة الأنصاري. وقال ابن ماجه: يعني التقشف.

وقال أبو عبيد: ينوي هو أن يكون الرجل متقحِّلاً رثَّ الهيئة، يقال: رجل باذ الهيئة: أي: في هيئته بذاذة وبذة. قال المناوي: رثاثة الهيئة وترك الترفه وإدامة التزين والتنعم في البدن والملبس، إيثارًا للخمول بين الناس، وقوله: (من الإيمان) أي: من أخلاق أهل الإيمان إن

---

(١) **حديث صحيح:** رواه مسلم (١٣٤)، (١/ ١١٩)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٦٦٧)، والطبراني في الكبير (١٠٠٢٤)، (١٠/ ٨٣)، وابن منده في الإيمان (١/ ٤٧٤)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٧٢٤)، (٧٨٣)، عن ابن مسعود.

ورواه ابن منده في الإيمان (٣٤١)، (١/ ٤٧١)، وهناد في الزهد (٩٥٠)، بتحقيقنا، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٧٢٢)، (٧٨٨)، من حديث أبي هريرة. وفي الباب عن بعض أصحاب النبي ﷺ، وأنس وعائشة وغيرهم. تنبيه: في بعض روايات الحديث (صريح) بدل (محض).

(٢) **حديث صحيح:** رواه أبو داود (٤١٦١)، (٤/ ٧٥)، وابن ماجه (٤١١٨)، (٢/ ١٣٧٩)، والروياني في مسنده (٢/ ٣١٤)، (١٢٧٣)، (١٢٧٤)، والحميدي في مسنده (١/ ١٧٣)، (٣٥٧)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ٥٨)، (٢٠٠٢)، والطبراني في الكبير (١/ ٢٧١)، (٧٨٨)، والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ١٢٥)، (١٥٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٢٨)، (٦٤٧٠)، وعبد الله أحمد في السنة (١/ ٣٦٢)، (٧٨٠)، وابن أبي عاصم في الزهد (١/ ٧)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٤٦٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥١)، جميعهم من طرق عن أبي أمامة الباهلي مرفوعًا.

قصد به تواضعًا وزهدًا وكفًّا للنفس عن الفخر والتكبر، لا إن قصد إظهار الفقر وصيانة المال، وإلا فليس من الإيمان، بل عرض النعمة للكفران، وأعرض عن شكر المنعم المنَّان، فالحسن والقبح في أشباه هذا بحسب: «**إنَّمَا الأعمالُ بالنِّيات**».

تنبيه: قال الفقيه ابن العربي: عليك بالبذاذة؛ فإنها من الإيمان، وورد: «اخشوشنوا» وهي من صفات الحاج، وصفة أهل القيامة، فإنهم غُبرٌ شُعثٌ عُراةٌ حُفاةٌ، وذلك أنفى للكبر وأبعد من العجب والزهو والخيلاء والصلف، وهي أمور ذمّها الشرع والعرف، فلذلك جعلها من الإيمان وألحقها بشعبه.

وقال البيهقي: البذاذة هي رثاثة الثياب للملبس والمفترش، وذلك تواضع عن رفيع الثياب، وثمين الملابس والمفترش، وهي ملابس أهل الزهد في الدنيا، فيقال: إذا وصف الرجل بالتواضع فلان بذ الهيئة رث الملبس.

قال الحسيني في «البيان والتعريف» (٢/ ٧): رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم عن أبي أمامة ﷺ.

وقال الحاكم: احتج به مسلم بصالح بن أبي صالح السمان، وسكت عنه الذهبي.

وقال الحافظ العراقي في أماليه: حديث حسن.

وقال الديلمي: هو صحيح، وكذلك قال الحافظ ابن حجر في الفتح.

وسبب الحديث: ذكر أصحاب رسول الله ﷺ يومًا عنده فقال: «ألا تسمعون ألا تسمعون» ثم ذكره. وانظر: «فيض القدير» (٣/ ٢١٧)، و«البيان والتعريف» (٢/ ٧)، و«الفتح» للحافظ (١٠/ ٣٦٨)، و«التمهيد» لابن عبد البر (٢٤/ ١١).

الشعبة الخامسة والثلاثون

[مسرَّة الحسنة، وإساءة السيئة]

عن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَرَّته حَسنتُه، وسَاءَتْهُ سيئتُه فَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[١].

عن عمر بن الخطاب مرفوعًا، وهو جزء منه بنحوه.

---

(١) حديث صحيح: رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٩)، ومعمر بن راشد في الجامع (١١/ ١٢٦)، والطبراني كما في المجمع (١٠/ ٢٩٤)، وهو في الأوسط (٣/ ٢٢٦) عن عمر مرفوعًا.

ورواه ابن حبان (١٢/ ٣٩٩)، (١٥/ ١٢٢)، (١٦/ ٢٣٩)، والطبراني في الأوسط (٢/ ١٨٤)، (٣/ ٢٠٤)، والبزار (١/ ٢٦٩)، وأحمد في المسند (١/ ١٨)، والروياني (٢/ ٣٦٤)، والحميدي (١/ ١٩) عن أبي أمامة الأنصاري مرفوعاً ولفظه قال: ما الإيمان فذكره، ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ١٢٠)، والبزار (٨/ ٧٢)، عن أبي موسى مرفوعًا.

فائدة في شرح الحديث: قال العلامة المناوي -رحمه الله: فذلكم المؤمن الكامل؛ لأنه لا أحد يفعل ذلك إلا لعلمه بأن له ربًّا على حسناته مُثِيبًا، ولسيئاته مُجَازِيًا، ومن كان كذلك فهو لتوحيد الله مخلصًا.

قال ابن جرير: وفيه تكذيب المعتزلة في إخراجهم أهل الكبائر من الإيمان، فإنه سمى أهل الإساءة مؤمنين، وإبطال لقول الخوارج: هم كافرون، وإن أقروا بالإسلام. وانظر: «فيض القدير» (٣/ ٧٩).

ثم قال في موضع آخر (٦/ ١٥٢): (من سرته حسنته) لكونه راجيًا ثوابها موقنًا بنفعها، (وساءته سيئته فهو مؤمن): أي كامل الإيمان؛ لأن من لا يرى للحسنة فائدة ولا للمعصية آفة فذلك يكون من استحكام الغفلة على قلبه، فإيمانه ناقص، بل ذلك يدل على استهانته بالدين، فإنه يهون عظيمًا، ويغفل عمّا لا يغفل الله عنه، والمؤمن يرى ذنبه كالجبل العظيم، والكافر يراه كذُبابٍ مرَّ على أنفه، فالمؤمن البالغ الإيمان يندم على خطيئته، ويأخذه القلق كاللديغ لإيقانه بخير الآخرة وشرِّها، بخلاف غير الكامل فإنه لا ينزعج لذلك لتراكم الظلمة في صدره وعلى قلبه، فيحجبه عن ذلك انتهى.

الشعبة السادسة والثلاثون

[حُسن الخلق كمالٌ للإيمان]

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أكملَ المؤمنين إيمانًا أحسنُهُمْ خُلقًا، وإنَّ حُسن الخُلق لَيَبْلُغُ درجةَ الصَّومِ والصَّلاةِ**»[1].

شرح الحديث: إن صلة الأخلاق بالعبادات التي شرعها الإسلام صلة وثيقة هدفها السمو الخلقي بالمسلم، فإن الغاية والهدف من فرض الصيام الوصول بالمسلم إلى التقوى التي هي جماع الأخلاق الفاضلة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣].

(١) حديث صحيح: رواه أبو يعلى في مسنده (٧/ ١٨٤)، والبزار في مسنده كما في مجمع الزوائد (١/ ٥٨). وقال الهيثمي: رجاله ثقات من حديث أنس ﷺ. ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢١٠)، (٢٥٣١٨)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٤٤٩)، (٥٢٢) من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا. ورواه الطبراني في الصغير (١/ ٣٦٢)، (٦٠٥) من حديث أبي سعيد بزيادة واختلاف.

والرسول ﷺ يوضح أن الهدف من الصوم هو البعد عن الرذائل الخلقية فيقول: «**مَنْ لم يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ والعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لله حاجةٌ أنْ يَدَعَ طعامَهُ وشَرَابَهُ**». رواه أبو داود (٢/ ٧٦٧)، (٢٣٦٢)، والترمذي (٣/ ٨٧)، (٧٠٧).

ويقول ﷺ: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فإذا كان أحدُكُمْ صائمًا فلا يَرْفُثْ ولا يَجْهَلْ، فإنِ امرؤٌ قاتَلَهُ أو شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إنِّي صَائِمٌ، إنِّي صائمٌ**». رواه أبو داود (٢٣٦٣).

فانظر كيف بَيّن الرسول ﷺ أن الصوم جُنّة أي: وقاية للمسلم من الأخلاق الذّميمة، وكيف نصح الصائم بألا يرفث بأن يتكلم الكلام الفاحش، وألا يجهل بأن يفعل الفعل القبيح، فإن اعتدى عليه شخص فليقل له، وليقل لنفسه أيضًا: إني صائم، وصومي يحجبني عن سوء الخلق، وعن مقابلة السيئ بالسيئ.

والغاية والهدف من الصلاة: الإبعاد عن الرذائل، قال تعالى: ﴿**وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ**﴾ [العنكبوت:٤٥]، فإن للصلاة ثمرات منها التواضع، والرحمة، والخلق الطيب، وهي سبب في تكفير الخطايا، ومحو السيئات، وتطهير المسلم أولاً بأول من سوء الخلق، كما أوضح ذلك رسول الله ﷺ عندما سأل أصحابه:

«**أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسلُ منه كلَّ يومٍ خمس مرَّاتٍ، هل يبقى من درنه شيءٌ؟** قالوا: لا يبقي من درنه شيء. قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهنَّ الخطايا**». رواه مسلم (١/ ٤٦٢).

فإن كمال الإيمان وحسن الإسلام لا يتمُّ إلا بحسن الخلق مع الله، ومع الناس، ومع النفس.

وبالجملة: فأكمل الخلق أخلاقًا هو سيد الخلق وأفضلهم ﷺ.

قال الجهابذة من أكابر هذا الدين -رضي الله عنهم أجمعين: كان رسول الله ﷺ أوسع الناس عقلاً، وأحسنهم خلقًا، وأكرمهم طبعًا، وأوفرهم علمًا، وأزيدهم زهدًا، وأشدهم في الله، وأغيرهم على دين الله، وأعبدهم لله، وأعفهم وأبعدهم عن مواضع الريب، وكان أشد الناس تواضعًا، وأقنع الناس، وأكثر الخلق حياءً، وكان إذا وعظ الناس لا يصرح باسم أحد خشية أن يخجله، وإنما يقول: ما بال أقوام يفعلون كذا، وكان يؤاكل الفقراء والمساكين، ويفلي لهم ثيابهم، ويلبس ما وجد، ويأكل ما وجد، ويكرم أهل الفضل على اختلاف طبقاتهم، ويكرم أقاربه وأرحامه، ولا يقدمهم على من هو أفضل منهم.

ولا يجفو على أحد بقولٍ ولا فعل، ويغضب لله ويرضى لله، وإذا غضب لا يقاوم غضبه أحد، ولا يؤاخذ من أساء، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ويحب العفو والصَّفح.

ويخرج إلى بساتين أصحابه فيأكل منها ويحتطب، ثم يحمل الحطب إلى بيته، وكان ﷺ يقبل عذر المعتذر، ويمزح مع الصبيان والنساء، ولا يقول إلا حقًّا، وكان لا يرتفع على خدمه في مأكل ولا ملبس، بل يأكل هو وإيَّاهم في إناء واحد، ويلبسهم مثله.

وكان لا يحقِّر مسكينًا لفقره، ولا يهاب ملكًا لملكه، ويدعو هذا وهذا إلى الله ﷻ دعاءً واحدًا، وكان أرحم الخلق بالخلق، وكان إذا دعا الخادم ولم يجبه قال له: لولا خشية القصاص يوم القيامة لأوجعتك بهذا السواك، وكان ﷺ هيِّنًا ليِّنًا، ليس بفظٍّ ولا غليظ، رحيمًا بالخلق، وقد ترفع عليه الأصوات بالكلام الجافي فيحتمله، وإذا سئل أن يدعو على أحد عدل عن الدعاء عليه ودعا له، وما ضرب بيده قط امرأة، ولا خادمًا ولا غيرهما.

وكان لا يدعوه ﷺ أحد حرًّا كان أو عبدًا إلا وقام معه في حاجته؛ جبرًا لخاطره.

وكان ﷺ يجلس حيث انتهى به المجلس، وكان ﷺ يجلس متوجِّهًا إلى القبلة، ويقول: إنه سيد المجالس، وكان يكرم كل داخل عليه ويؤثره بالوسادة التي تكون تحته. وكان أكثر الناس تبسُّمًا. وكان ﷺ متواصل الأحزان، وكان ﷺ حزنه لله خوفًا من الله لا لغرض من أغراض الأكوان. وكان ﷺ أعدل الناس يدور مع الحق حيث دار، لا تأخذه في الله لومة لائم، يصل لله، ويقطع لله، ويحب لله، ويبغض لله، ويقف عند حدود الله، وينتصر لله، ولا يعمل عملاً إلا لله، ويرى الحر والعبد والقريب والبعيد في الله سواء، يحب الفقراء والمساكين ويحنو عليهم، ويسلِّم في طريقه على الصبيان. وكان ﷺ يُلاعب الحسن والحسين-رضي الله عنهما- وربما أركبهما على ظهره ﷺ، ويمشي بهما على يديه ورجليه، ويقول: «نِعْمَ الجَمَلُ جَمَلُكُمَا، وَنِعْمَ الْعدلان أَنْتُمَا»[1].

وكان يبش في وجه جليسه، ويعطي كل جليس حظَّه من البشاشة حتى يظن ذلك الجليس أنه أكرم جلاّسه عليه وأحبهم إليه، وماذا نبسط من أخلاقه الشريفة المحمدية وخلقه القرآن، وقد وسع بخلقه الكريم العظيم الإنس والجان.

فَبَالغ وَأَكْثـرَ لَـن تُحِـيطَ بِوَصـفَـه وَأَيْـنَ الثُّرَيَّـا مِـن يَـدِ المتنَـاوَل

قد علم كل ذي فهم من أرباب الخبرة بسيرة النبي ﷺ، العالمين بسُنَّته السّنية أنه كان

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٣/ ٥٢).

يلبس الخشن من الثياب، ويتختَّم بالعقيق، وينام على فراش حشي بالليف، وربما نام على الحصير ﷺ، ولا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، وإذا خُيِّر بين أمرين اختار أيسرهما ما لم يكن مأثمًا، فإذا ما ساق إليه سيدنا المؤلف، وحثَّ عليه كله من سنة النبي المعظَّم ﷺ، ولا ريب أن الواصلين إلى الله أحرزوا شرف الوصول ببركة اتباع هذا الرسول المعظَّم المقبول ﷺ.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ [آل عمران:٣١].

وقال ﷺ: «عليكم بسنتي، وسُنة الخلفاء الرَّاشدين المهديين، عضُّوا عليها بالنَّواجِذ، وإيَّاكم ومُحْدَثات الأمور، فإن كل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضَلالة، وكل ضَلالةٍ في النَّار».

وعن عطاء ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩]: أي إلى كتاب الله وسنة رسول الله تعالى ﷺ كيف لا وهو ﷺ بلّغ الرِّسالة، وأدَّى الأمانة.

وكان آخر كلامه من الدنيا: «جَلال ربي الرَّفيع فقد بلغتُ» رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٨). ثم قضى أرواحنا له الفداء، فمن أراد الله به الخير في الدارين وفَّقه للتخلُّق بأخلاق نبيِّه سيد الكونين، جعلنا الله من المتمكنين في اتباعه، ومن أخصّ المعدودين من خواص أتباعه آمين.

الشعبة السابعة والثلاثون:

[حفظ العهد والأمانة من الإيمان]

عن أنس قال: ما خطب رسول الله ﷺ إلا قال: «لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له، ولا دِينَ لمن لا عهدَ له»[1].

شرح الحديث: إن الأمانة: كل ما يجب على المسلم أن يحفظه ويصونه ويؤديه، إنها

---

(١) **حديث صحيح**: رواه أحمد في مسنده (٣/ ١٣٥)، ١٥٤، ٢١٠)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٥٩)، (٣٠٣٢١)، والطبراني في الأوسط (٢٦٠٦)، (٣/ ٩٨)، (٦/ ١٠٠)، (٥٩٢٣)، وأبو يعلى في مسنده (٦/ ١٦٤)، (٣٤٤٥)، وعبد بن حميد في مسنده (١١٩٨)، (١/ ٣٦١)، وابن حبان في صحيحه (١٩٤)، (١/ ٤٢٢)، والبيهقي في الكبرى (٧٠٧٣)، (٤/ ٩٧)، وفي الشعب (٤/ ٧٨)، (٤٣٥٤)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣٧١)، (٨٠٥)، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (ص٩١)، (٢٧٨)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٣/ ١٥٤)، والقضاعي في الشهاب (٢/ ٤٣)، (٨٤٨)، والديلمي في الفردوس (٧٩٧٢)، (٥/ ٢٠٧)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٣٥٦)، وفي الباب عن عائشة وأبي هريرة وأبي أمامة وغيرهم بنحوه.

شعور بمسئوليته عن كل ما يُوكَّل إليه، وبذله الجهد في تأديته على النحو الذي يرضاه الله – جل في علاه– ولعل هذا بعض ما يفهم من حديث رسول الله ﷺ. فالإسلام جعل من الأمانة معنى واسعًا، فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم عدة مرات.

وكان رسول الله ﷺ أمينًا، وحثَّ أتباعه على هذا الخُلق العظيم.

وعن حذيفة ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر: حدثنا«**أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة،** وحدثنا عن رفعها، قال: «**ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض، فيبقى فيها أثرها مثل أثر المجل، كجمر دحرجته على رجلك فنفط، فتراه منتبرًا، وليس فيه شيء، ويصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلاً أمينًا، ويقال للرجل: ما أعقله وما أظرفه، وما أجلده، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**» رواه البخاري (١١/ ٣٣٣ الفتح).

والجذر: أصل الشيء، والوكت: أثر النار، المجل: أثر العمل في الكف، فنفط صار منتفطًا، وهو المنتبر، يقال: انْتَبَرَ الجرح وانتفط: إذا ورم وامتلأ ماءً.

ومن صور الأمانة: الودائع، والمناصب، والأسرار، والمشورة. فلا يكمل إيمان عبد إلا إذا كان حقًا من الأمناء في دينهم ودنياهم، وإن رفع الأمانة، وضياع الحقوق، وحلول الغدر والخيانة من أوائل علامات الساعة.

الشعبة الثامنة والثلاثون

[أعجب المؤمنين إيمانًا]

عن عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعجبُ الخلقِ إليَّ إيمانًا قومٌ يكونون من بعدكم يَجِدُون صُحُفًا فيها كُتُبٌ يُؤمنون بما فيها**»[1].

---

(١) حديث حسن لغيره: رواه الحافظ في «الأمالي المطلقة» (ص٣٩) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، فذكره بنحوه، وقال: هذا حديث غريب، ومغيرة بن قيس مصري، قال أبو حاتم: منكر الحديث، وإسماعيل بن عياش روايته عن غير الشاميين ضعيفة، وهذا منها؛ لكنه يعتضد بالذي قبله.

ورواه الطبراني في الكبير (١٢/ ٨٧)، (١٢٥٦٠). عن ابن عباس مرفوعًا.

وأورده ابن كثير في التفسير (١/ ٤٣)، وقال: قد روى أبو يعلي في مسنده (١٦٠)، وابن مردويه في تفسيره، والحاكم في مستدركه (٤/ ٨٥) من حديث محمد بن حميد وفيه ضعف عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر مرفوعًا بمثله أو نحوه، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقد روى نحوه عن أنس بن مالك مرفوعًا، والله أعلم.

وروي من حديث أبي هريرة وابن عباس.

من شرح الحديث: قال المصنف: أمر تبارك وتعالى بالإيمان به وبرسوله على الوجه الأكمل، والدوام والثبات على ذلك والاستمرار، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ [الحديد:٨] يعني: وأي شيء يمنعكم من الإيمان والرسول بين أظهركم يدعوكم إلى ذلك، ويبين لكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به.

وقد روينا في الحديث من طرق في أوائل شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال يومًا لأصحابه: **«أي المؤمنين أعجب إليكم إيمانًا؟»** قالوا: الملائكة، قال: **«وما لهم لا يؤمنون، وثَمَّ ربُّهم؟»** قالوا: فالأنبياء، قال: **«وما لهم لا يؤمنون والوحي ينـزل عليهم؟»** قالوا: فنحن، قال: **«وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟ ولكن أعجب المؤمنين إيمانا قوم يجيئون بعدكم يجدون صحفًا يؤمنون بما فيها»**.

الشعبة التاسعة والثلاثون:

[السَّماحة والصبر]

عن عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قيل له: ما الإسلام؟ قال: **«إطعامُ الطعامِ»** فقيل له: فما الإيمان يا رسول الله؟ قال: **«السَّمَاحَةُ والصَّبْرُ»**[1]. رواه الزهري عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه.

شرح الحديث: فيه إخبارٌ أن إطعام الطعام خير أعمال الإسلام وأحب الأعمال إلى الله أدومها، بمعنى أن يهيأ الطعام للعيال والفقراء والأضياف والإخوان ونحوهم.

فهم من حقوق الآدميين، حيث جُعل أفعالها في المثوبة إطعام الطعام الذي به قوام الأبدان.

وأما الصبر: فقد ذكر ما يكفي لمعرفته وفضله في شرحنا لحديث **«الصبر نصف الإيمان»**.

وأما السماحة: فهي السهولة في المعاملة من شراء وبيع ونحو ذلك عمومًا في معاملة

(١) رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٤)، من طريق الزهري به فذكره بزيادة (إطعام الطعام وطيب الكلام). ورواه البخاري في التاريخ الكبير (٥/ ٥٢)، (٦/ ٥٣٠)، عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده قلت للنبي ﷺ فذكره مختصرًا على سؤال الإيمان.

الناس، والمراد بها: ترك المضاجرة ونحوها.

وقال الزركشي: من أعظم خصال الإيمان السماحة، وهي تيسير الأمر على المسامح.

وروي عن الحسن -رحمه الله- أنه قيل له :ما الصبر والسماحة؟ فقال: الصبر عن محارم الله، والسماحة بفرائض الله.

وفي خبر: «من سامح سُومح له». رواه الديلمي في «الفردوس»، وانظر: «فيض القدير» للمناوي (٢/ ٢٩)، (٣/ ١٨٦، ١٨٧).

الشعبة الأربعون

[أمن بوائق الجار من الإيمان]

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«والله لا يُؤمنُ، والله لا يُؤمنُ، قالوا: وما ذاك؟ قال: جارٌ لا يَأْمَنُ جارُه بوائِقَهُ»**. رواه البخاري[١].

شرح الحديث: قوله (بوائقه) جمع بائقة، وهي الداهية والشيء المهلك والأمر الشديد الذي يُوافي بغتة. فلا يكن مؤمنًا كامل الإيمان من آذى جاره، ولم يأمن جاره بوائقه ودواهيه وشره؛ لأنه إذا كان مضرًّا لجاره كان كاشفًا لعورته حريصًا على إنزال البوائق به، دل حاله على فساد عقيدته، ونفاق طويته، أو على امتهانه ما عظَّم الله حرمته، وأكد وصله، فإصراره على هذه الكبيرة مظنة حلول الكفر به، فإن المعاصي بريده، ومن خُتم له بالكفر لا يدخلها، أو هي في المستحل، أو المراد الجنة المُعَدَّة لمن قام بحق جاره.

وقال سيدي ابن أبي جمرة ﷺ: حفظ الجار من كمال الإيمان. وانظر: «فيض القدير» للمناوي (٦/ ٤٤٨، ٤٤٩).

الشعبة الحادية والأربعون

[شعبتان من الإيمان، وشعبتان من النفاق]

قال البغوي:حدثنا عليّ بن الجعد قال: حدثنا أبو غَسَّان عن حسان بن عطية عن أبي

---

(١) **حديث صحيح**: رواه البخاري (٥/ ٢٢٤٠)، (٢، ٥٦)، ومسلم (١/ ٦٨)، (٤٦)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٨٨، ٣٣٦، ٣٧٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٣، ٥٥)، وأبو نعيم في المستخرج (١/ ١٣٤)، ومعمر بن راشد في الجامع (١١/ ٧)، والقضاعي في الشهاب (٢/ ٥٧)، وابن منده في كتاب الإيمان (١/ ٤٤٥، ٤٤٦)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٥٥)، (١٢١)، وابن المبارك في الزهد (٧٠٢)، (ص٢٤٥)، وهناد في الزهد (١٠٣٣) بتحقيقنا، كلهم من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وروي نحوه عن أبي شريح، وابن عمر، وأنس بن مالك.

أمامة عن النبي ﷺ قال: «الحياءُ والعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الإيمانِ، والبَذَاءُ والبيانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ»[1].

فائدة في شرح الحديث: اعلم -رحمك الله- أن رجال الغيب: وهم عشرةٌ لا يزيدون ولا ينقصون، أهل خشوع لا يكلمون الناس إلا همسًا؛ لغلبة تجلي الرحمن عليهم دائمًا في أحوالهم، وهم مستورون لا يعرفون، خبّأهم الحق في أرضه وسمائه فلا يناجون سواه، ولا يريدون غيره، دأبهم الحياء، إذا سمعوا أحدًا يرفع صوته في كلامه ترعَّد فرائصهم، ويتعجبون من ذلك؛ لأنهم يتخيلون أن التجلي الذي أورث عندهم الخشوع والحياء قائم بكل أحد.

هذا.. وإن من آفات اللسان كثرة الكلام بغير ذكر الله ﷻ، فقد قال رسول الله ﷺ: «لا تُكْثِرُوا الكلامَ بغيرِ ذِكْرِ الله، فَإِنَّ كَثْرَةَ الكلامِ بغير ذِكر الله تعالى قَسْوَةٌ للقلب، وإنَّ أبعدَ النَّاسِ من الله تعالى القَلْبُ القَاسِي»، رواه الترمذي (٤/ ٦٠٧).

وسبب ذلك: أن اللسان تُرجمان القلب، والقلب الخالي عن التلذذ بالذكر وطيب المناجاة والتمتع بالخلوة بالحبيب مسجون بالشهوات، متلوث بالأخلاق المذمومة، يزخرف له الشيطان لذة الاجتماع بالخلق وطيب المنادمة، ليصده عن ذكر الله تعالى الذي هو سبب سعادة الدارين، فينطق من قلبه أنوار الخوف، فيتصاعد دُخان الهوى، فيعمى القلب عن القلب، ويسدُّ سمعه فيُصمُّ عن الواعظين، ويعمى عن موضع الخير، وهذا عين القسوة، وبذلك يحصل الإبعاد عمّن بيده الملك، نسأل الله العافية.

ومن آفات اللسان: البذاءة، وهي خَصلةٌ خبيثةٌ، ومع خبثها أكثر من القطر في ألسنة الرجال، فضلاً عن النساء الناقصات العقل والدين، وهي سبب بغض الله تعالى لمتعاطيها، فيا ذل من أبغض الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يَبْغَضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ» رواه الترمذي، وقال: حسنٌ صحيحٌ (٣/ ٢١١)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٠٢).

---

(١) حديث حسن: رواه البغوي في مسند ابن الجعد (٢٩٤٩)، والترمذي (٢٠٢٧)، (٤/ ٣٧٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٧٠)، (٣٠٤٢٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥١، ١١٨)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٦٩)، والروياني في مسنده (٢/ ٣٠٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٣٣)، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (ص٣٥)، (٧٤)، وابن قانع في معجم الصحابة (٢/ ٧)، كلهم من طريق أبي غسان به فذكره بنحوه. قال أبو عيسى: حديث حسن إنما نعرفه من حديث أبي غسان محمد بن مطرق، قال: والعي قلة الكلام، والبذاء: هو الفحش في الكلام، والبيان: هو كثرة الكلام مثل هؤلاء الخطباء الذين يخطبون فيوسعون في الكلام ويتفصحون فيه مدح الناس فيما لا يرضي الله تعالى.

فيَا خِزي من أحب وتلذذ بها لا يحبه الله ﷻ، وقد كثر هذا في الناس حتى أنهم يفرحون به، وهذا يدل على طرح الله تعالى لهم؛ لأنهم أبدلوا منفعة اللسان من الذكر وما خلق له من التوحيد والتهليل والتسبيح وغير ذلك بها لا يحبه الله، وفيه رضا الشيطان، وهذا غاية الخذلان والخسران، وقال رسول الله ﷺ: «**إِيَّاكُمْ والفُحْشَ**». رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٤١١)، والحاكم (١/ ١٢) وصححه، ووافقه الذهبي.

وانظر: «المؤمنات الصالحات» و«الإيقاظ من المهلكات» للحصني (ص١٩٤، ١٩٦)، و«شرح الحكم الكردية» للشرقاوي (ص١٠١) بتحقيقنا.

الشعبة الثانية والأربعون:

[عمارة المساجد]

قال ابن وهب: حدثنا عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمح حديثًا عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا رأيتُم الرَّجُلَ يَعْتَادُ المسجدَ فاشْهَدُوا له بالإيمانِ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾** [التوبة:١٨]»[1].

شرح الحديث: فهي دليل على أن للظاهر اعتبارًا، حيث لا يُوَفَّق في فعل الخيرات بالاعتياد إلا إذا كان في عبادته صدق العُبَّاد، فقوله ﷺ: «**يعتاد المسجد**» أي: إنه من المحافظين على صلاة الجماعة، وهذا له فضله وأجره عند الله، كما ثبت فيما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**صلاةُ الرجلِ في جماعةٍ تضعفُ على صلاته في بيتِهِ وسُوقِهِ خمسةً وعشرين ضِعْفًا، وذلك أنه إذا توضَّأ فأحسنَ الوضوءَ، ثم خرج إلى المسجد لا يُخرجُه إلا الصلاةُ، لم يَخْطُ خطوةً إلا رُفِع له بها درجةٌ، وحُطَّتْ عنه بها خطيئةٌ، فإذا صلَّى لم تزلِ الملائكةُ تُصلِّي عليه ما دام في مصلاه، ما لم يُحْدِثْ تقول: اللهُمَّ صلِّ عليه، اللهم ارْحَمْهُ.. ولا يزال في صلاةٍ ما انتظرَ الصلاةَ**»[2]. فقد جعل الله حضور المساجد عمارة لها.

قال ﷺ: «**ورجلٌ قلبه معلَّقٌ في المساجد**» أي: بها من شدة حبه لها وإن كان خارجًا عنها، وهو كناية عن انتظاره أوقات الصلاة، فلا يصلي صلاةً ويخرج منه إلا وهو ينتظر وقت صلاة أخرى حتى يصلي فيه.

وقال ﷺ: «**صلاةُ الجماعةِ تَفْضُلُ عن صلاةِ الفَذِّ بسبعٍ وَعِشْرِينَ درجةً**». رواه البخاري

---

(١) حديث صحيح: رواه الترمذي (٣٠٩٣)، وأحمد في المسند (٣/ ٦٨، ٧٦) والدارمي (١/ ٣٠٢)، (١٢٢٣)، وعبد ابن حميد في مسنده (٩٢٣)، وسعيد بن منصور في سننه (١٠١٠)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٣٢)، وابن حبان (٥/ ٦)، (١٧٢١)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٣٣٦)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٢٧)، وابن عدي في الكامل (٣/ ١١٤، ١٥٤) من طريق عمرو بن الحارث به فذكره.

(٢) رواه البخاري (١١/ ١٨١)، ومسلم (١/ ٤٥٩).

(١/ ٢٣١)، ومسلم (١/ ٤٥٠).

فاحذر ترك هذا إن كنت تبحث عن زيادة الإيمان، وإلا لم نقل بفرضية أو وجوب الصلاة في المسجد، لكن دأب الباحث والساعي للأفضلية والخيرية ألا يلهو ويعبث وهو سامع للمؤذن، ولا تقوى نفسه على الذهاب إلى المسجد.

وانظر: «تسهيل المقاصد إلى زوار المساجد» للأقفهسي، و«فضل المسجد» للشيخ عليش، و«أسنى المقاصد في فضل المساجد» للشيخ علوان، و«تحفة الراكع والساجد في فضل المساجد للجراعي، و«منيل العبد مناه» للشيخ ماء العينين (ص١٧٦) كلهم بتحقيقنا طبع دار الكتب العلمية بيروت.

الشعبة الثالثة والأربعون

[التعاطف والتراحم والتعاضد بين المسلمين]

عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَثَلُ المؤمنينَ في تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ مَثَلُ الجسدِ إذا اشْتَكَى منه شيءٌ تَدَاعَى سَائِرُهُ بالسَّهَرِ والحُمَّى»**[1]. رواه مسلم.

شرح الحديث: قال ابن رجب: وفي رواية: **«المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى»**.

وفي رواية له أيضًا: **«المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله»**. فقد جعل الله المؤمنين إخوة؛ ليتعاطفوا ويتراحموا فيما بينهم.

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز ﷺ: اجعل كبير المسلمين عندك أبًا وصغيرهم ابنًا وأوسطهم أخًا، فأي أولئك تحب أن تسيء إليه؟.

وقال يحيى بن معاذ الرازي ﷺ: ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمُّه، وإن لم تمدحه فلا تذمه. وانظر: جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب (ص٤٢١).

---

(١) حديث صحيح: رواه البخاري (٥/ ٢٢٣٨)، (٥٦٦٥)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩)، (٢٥٨٦)، وأحمد في المسند (٤/ ٢٧٠)، والطيالسي في مسنده (١/ ١٠٧)، (٧٩٠)، وخيثمة في حديثه (ص٧٤)، والطبراني في الصغير (١/ ٢٣٥)، والبزار في مسنده (٨/ ٢٣٨)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٣٥٣)، والقضاعي في الشهاب (٢/ ٢٨٣)، والبغوي في مسند ابن الجعد (أ/ ١٠٢)، (٦٠٥)، والرامهرمزي في أمثال الحديث (٤٠)، (ص٨٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٨١)، (٨٩٨٥)، (٧/ ٥٠٥)، (١١١٤١)، وابن منده في الإيمان (٣١٩)، والديلمي في الفردوس (٤/ ١٣٣)، (٦٤١٣)، كلهم من حديث النعمان بن بشير به، فذكره بنحوه.

الشعبة الرابعة والأربعون

[الترابط والاعتصام بين المؤمنين]

عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنْيَانِ، يَشُدُّ بعضُه بعضًا»**[1].

فائدة في معنى الحديث: قال الإمام النووي: مثل هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والملاطفة، والتعاضد في غير إثم ولا مكروه. وانظر: شرح مسلم للنووي (١٦/ ١٣٩).

الشعبة الخامسة والأربعون:

[المؤمن يألف ويؤلف]

قال الزبير بن بكار ثنا أبو صخر عن أبي حازم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمنُ يألفُ ولا خيرَ فِيمَنْ لا يألفُ ويُؤلفُ»**[2].

---

(١) حديث صحيح: رواه البخاري (١/ ١٨٢)، (٤٦٧)، (٢/ ٨٦٣)، (٢٣١٤)، (٥/ ٢٢٤٢)، (٥٦٨٠)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩)، (٢٥٨٥)، والترمذي (٤/ ٣٢٥)، (١٩٢٨)، وأحمد في المسند (٤/ ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٩)، والنسائي في الصغرى (٥/ ٧٩)، (٢٥٦٠)، وفي الكبرى (٢/ ٧٩)، (٢٣٤١)، والروياني في مسنده (١/ ٣٢٠)، (٤٨١)، والحميدي في مسنده (٢/ ٣٤٠)، (٧٧٢)، والطيالسي (١/ ٦٨)، (٥٠٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٦٣)، (٣٠٣٤٨)، (٧/ ٨٩)، (٣٤٤١٣)، وابن حبان في الصحيح (١/ ٤٦٧)، (٢٣١)، والبزار في مسنده (٣١٨٢)، (٨/ ١٦٠)، وأبو يعلى (١٣/ ٢٧٩)، (٧٢٩٥)، (١٣/ ٣٠٧)، (٧٣٢١)، وعبد بن حميد في المنتخب (١/ ١٩٦)، (٥٥٦)، والقضاعي في مسند الشهاب (١٣٤)، (١/ ١١٢)، والبيهقي في الشعب (٦/ ١٠٣)، (٧٦١١)، وابن المبارك في الزهد (٣٥٠)، (١/ ١١٨) من حديث أبي بردة عن أبي موسى به فذكر بنحوه، وفي الباب عن أبي هريرة مرفوعًا بنحوه.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٣)، من طريق عبد الله بن وهب عن أبي صخر عن أبي حازم به فذكره. وقال: صحيح على شرطهما ولا أعلم له علة، ولم يخرجاه، وتعقيه الذهبي بأنه معلول وعلته انقطاعه، فإن أبا حازم هذا هو المديني لا الأشجعي ولم يلق أبا صخر الأشجعي ولا المديني لقي أبا هريرة.

قلت: فعند الحاكم: عن أبي حازم عن أبي هريرة: ورواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٤٠٠)، من طريق ابن وهب عن أبي صخر عن أبي حازم به فذكره.

والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٧٠)، وفي السنن الكبرى (١٠/ ٢٣٦)، من طريق أبي صخر به فذكره.

قلت: وفي الباب عن سهل بن سعد، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن مسعود وصححه السيوطي والهيثمي، والمناوي بشواهده.

شرح الحديث: المؤمن يُؤلف لحسن أخلاقه وسهولة طباعه، ولين جانبه، والألف اللزوم للشيء، فالمؤمن يألف الخير وأهله يألفونه.

ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلف لضعف إيمانه، وعُسر أخلاقه، وسوء طباعه، والألفة سبب للاعتصام بالله وبحبله، وبه يحصل الإجماع بين المسلمين، وبضده تحصل النفرة بينهم، وإنما تحصل الألفة بتوفيق إلهي، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران:١٠٣]، ومن التآلف ترك المداعاة والاعتذار عند توهم شيء في النفس، وترك الجدال والمراء وكثرة المزاح.

الشعبة السادسة والأربعون

[تقديم المشيئة من تمام الإيمان]

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ مِنْ تَمَامِ إيمانِ العبدِ أنْ يَسْتَثْنَى في كُلِّ حديثِهِ**».

لا يثبت هذا الحديث؛ لأنه من رواية داود بن المحبر عن معارك بن عباد عن عبد الله ابن سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة، وهذا سند مجمع على إطراحه[(١)].

وقال القاري: يعني بالاستثناء أن يقول فيه إن شاء الله، وهو منكر. وانظر: «المصنوع» (ص٦٨).

قال القاري: منكر، لكن معناه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف:٢٣، ٢٤].

وقال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٦/ ٤٥٤): هذا الحديث الباطل قد يحتجُّ به المرقة الذين لو قيل لأحدهم: أنت مسيلمة الكذَّاب لقال: إن شاء الله.

الشعبة السابعة والأربعون

[الصبر، واليقين]

قال محمد بن خالد المخزومي: عن الثوري عن زبيد اليامي عن أبي وائل، عن عبد الله

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٧/ ٣٧١)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٤٥١)، والديلمي (٥/ ١٥٧)، وقال الهيثمي: وفيه عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد، وهو ضعيفٌ (٤/ ١٨٢).

عن النبي ﷺ قال: «**الصَّبْرُ نِصْفُ الإيمانِ، واليقينُ الإيمانُ كُلُّهُ**»(١).

شرح الحديث: من أفضل التعريفات للصبر قول الحجة الغزالي -رحمه الله- بأنه: عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى.

فإن باعث الهوى قد يدفع الإنسان إلى التكاسل عن أداء الطاعات، أو إلى فعل المنهيات، أو إلى الضجر والجزع عند الابتلاء، فيقاومه باعث الدين.

فإن الله تعالى يقول: ﴿**واصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ**﴾ [النحل:١٢٧]، أمر بالصبر وبيَّن للصابر أنه لا طاقة له على الصبر إلا به، أي: بمعونته وتوفيقه.

قال الشيخ المحيوي: «**مَن صبر قدر**».

أي: من صبر وحبس نفسه عن الشكوى إلى غير الله قدر بأقدار الله إياه على كل ما تمناه، فالصبر عند الشيخ -قُدِّس سرَّه- ألا يشكوا إلى غير الله لا حبس النفس مطلقًا، ومن

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣٧٤)، (٨١٧)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٠٤)، (٨٥٤٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨٤)، والقضاعي في الشهاب (١/ ١٢٦)، (١٥٧)، كلهم من طريق الأعمش عن أبي ظبيان عن علقمة عن ابن مسعود به فذكره.

والبيهقي في الزهد الكبير (٢/ ٣٦١)، (٩٨٤)، وفي شعب الإيمان (١/ ٧٤)، (٩٨٤)، (٧/ ١٢٣)، (٩٧١٦)، وذكره ابن الجوزي في الواهيات (٢/ ٨١٥)، كلهم من طريق محمد بن خالد المخزومي به فذكره.

وأورده ابن قيم في حاشيته على مختصر أبي داود للمنذري (١٢/ ٢٩١) فذكر الحديث بسنده ومتنه سواء.

وقال الحافظ في تغليق التعليق (٢/ ٢٣): وقال ابن أبي قماش في روايته عن محمد بن خالد المخزومي، عن سفيان الثوري، عن زبيد اليامي، عن أبي وائل، عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «الصبر نصف الإيمان واليقين الإيمان كله». قال أبو نعيم: تفرد به المخزومي عن سفيان.

ورواه أبو الحسن بن صخر في فوائده عن أحمد بن علي الكرابيسي، عن عبد الله بن إسحاق، وقال: غريب تفرد به المخزومي، عن الثوري فيما قيل.

ورواه البيهقي في الزهد الكبير من رواية الأعمش موقوفًا، ومن رواية يعقوب بن حميد مرفوعًا، وقال: تفرد به يعقوب بن حميد عن محمد بن خالد هذا، ثم حكي عن الحافظ أبي علي النيسابوري أنه قال: هذا حديث منكر لا أصل له من حديث زبيد، ولا من حديث الثوري انتهى. ويعقوب بن حميد قد ضعف، ومحمد ابن خالد ما عرفته، وفي طبقته محمد بن خالد المخزومي ذكره ابن حبان في الثقات وقال: ربما رفع وأسند. فهو من طريق الأزدي نسبه الضبي، وهو وهمٌ من الأزدي لما تبين من رواية ابن صخر، ثم رأيته في العلل لابن الجوزي فقال بعد أن أخرجه من طريق ابن كاسب: تفرد به محمد بن خالد، وهو مجروح، لكن لم يذكر من جرحه، وفي الجملة رفع الحديث خطأ، والله أعلم.

صبر على البلاء قدر عليها، والله تعالى يبدلها بالنعم، ومن صبر على الطاعات قدر على تحصيل الدرجات، ومن صبر على الصبر قدر على كلِّ الخير، فالصبر ممدوح بكل لسان، لكن في مقام الإحسان؛ لأن الصبر على الأقدار عند الكُمَّل إساءة أدب مع الملك القهار.

وفي الحديث: **«من صبر ظفر»**. وقال ﷺ: **«بالصبر يقوى اليقين»**.

فالصبر: هو حمل النفس على أداء الطاعات، واجتناب المنهيات، وتقبل البلاء برضا وتسليم، والصبور من أسماء الله الحسنى وهو الذي لا تحمله العجلة على المسارعة إلى الفعل قبل أوانه.

ويجتمع في الصبر معانٍ منها: المنع، والشدة، والضم.

وقد وردت مادة الصبر في القرآن الكريم (١٠٣مرة) بصيغٍ مختلفةٍ، حيث بيّن الله ﷻ أن الصبر من أخلاق الرسل، وأنه من أسباب الفلاح، وأنه من أهم عوامل النصر والمدد من الله تعالى، وأنه تعالى جعل الصابرين أئمة في الدين، وأخبر ﷻ أنه يحبهم، وذكر أنه تعالى معهم بحفظه وتأييده، وبشرحهم بالخير العام.

واعلم أن النبي ﷺ خير أولي العزم الصابرين من الرسل، فقد صبر على الدعوة وتبليغ الأمانة، وصبر على الحرب الكلامية التي وجهها إليه المشركون بمجرد إخبارهم ببعثته.

وصبره ﷺ في المعارك الحربية التي شنَّها أعداء الإسلام، حتى كان مضرب الأمثال في هذه الغزوات، ولن ينسى التاريخ موقفه في غزوة حنين وصبره فيها، وكذا صبره ﷺ على أذى بعض أصحابه، كما في حادثة الإفك وغيرها، وقال كما في البخاري (١٠/ ٥١١): **«قد أُوذِيَ موسى بأكثرَ من ذلك فَصبرَ»**.

وصبره ﷺ على آلام المرض، قالت السيدة عائشة رضي الله عنهما:

«ما رأيتُ رجلاً أشدَّ عليه الوجعُ من رسول الله ﷺ» رواه مسلم (٤/ ١٩٩٠).

وكذلك صبره على موت أحبائه كما صبر على وفاة زوجته خديجة رضي الله عنها، وعمه حمزة ﷺ، وقد قدّر الله موت أبنائه الذكور جميعًا في حياته.

فلذلك كله جُعل الصبر نصف الإيمان، لأنه بمنـزلة الرأس من الجسد، كما قال الإمام علي ﷺ.

والخلاصة: إن الصبر خمسة أقسام: صبر لله، وصبر في الله، وصبر بالله، وصبر مع الله، وصبر عن الله.

فالصبر لله عناءٌ، والصبر فيه بلاءٌ، والصبر به بقاءٌ، والصبر معه وفاءٌ، والصبر عنه جفاءٌ.

واعلم أن الفرج وكشف الغم في الصبر، من فرَّج الله غمه كشفه، وترك الجزع والشكوى إلى غير الله؛ لأنه نصف الدين وبه يقوى اليقين، والظافر بالمطلوب مفرج الغموم والكروب.

أما اليقين: كونه الإيمان كله، فلأنه العلم الذي لا شك معه، وهو اعتقاد الشيء بأنه كذا، مع اعتقاده أنه لا يمكن إلا كذا مطابقًا للواقع غير ممكن الزوال، وعند أهل الله! اليقين رؤية العِيان بقوة الإيمان، لا بالحجة والبرهان، وقيل: مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب، وملاحظة الإسراء بمحافظة الأفكار، وقيل: اليقين هو طمأنينة القلب على حقيقة الشيء، يقال: يقن الماء في الحوض إذا استقر فيه.

واعلم أن أصول مقامات اليقين التي ترد إليها فروع أحوال المتقين تسعة: التوبة، والصبر، والشكر، والرجاء، والخوف، والزهد، والتوكل، والمحبة، والرضا.

وانظر: جامع الأصول لضياء الدين الخالدي (ص٣١٣، ٣١٨)، وعدة الصابرين لابن القيم الجوزية (ص١٠، ١١)، وإحياء علوم الدين للغزالي (١٢/ ٢١٧٦)، والمقصد الأسنى له (ص١٣٣)، والرسالة للقشيري (١/ ٣٩٧)، والفتح للحافظ (١٠/ ٥١١).

الشعبة الثامنة والأربعون

[ذكر الإسلام، والإيمان، وأفضل الأعمال]

قال أبو قلابة: عن رجلٍ من الشام عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أَسْلِمْ تَسْلَمْ»، قال: قلت يا رسول: وما الإسلام؟ قال: «أن يَسْلِمَ قلبُك لله، ويَسْلَمَ المسلمون من لسانك ويدك» قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: «الإيمان»، قال: وما الإيمان؟ قال: «أن تؤمنَ بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبالبعث من بعد الموت»، قال: فأي الأعمال أفضل؟ قال: «الهجرة»، قال: وما الهجرة، قال: «تهجر السوء»، قلت: فأي الهجرة أفضل؟ قال: «الجهاد»، قلت: وما الجهاد؟ قال: «أن تجاهد الكفار إذا لقيتهم لا تغل ولا تجبن، قال: ثم

عملان وهما من أفضل الأعمال: حَجٌّ مبرورٌ، أو عمرةٌ، لا عملَ أفضلُ منهما إلا كمثلهما[١]».

شرح الحديث: يُستفاد منه: إن سلامة الظاهر والباطن، والاعتقاد الصحيح واليقين الصادق الذي يجعل المؤمن هاجرًا لما حرّمه الله ونهى عنه، وكذلك بذل المال والنفس في سبيل الله كل ذلك من أعمال الإسلام والإيمان، وهما لا يفترقان.

الشعبة التاسعة والأربعون

[المؤمن كالسنبلة]

قال المسعودي: ثنا هدبة بن خالد ثنا عبيد الله بن مسلم - صاحب السابري- عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَثَلُ المؤمنِ مَثَلُ السُّنْبُلَةِ تَميلُ أحيانًا وتقوم أحيانًا[٢]»**.

قال المناوي في «الفيض» (٥/ ٥١٢) أي: هو كثير الآلام في بدنه وماله، فيمرض ويصاب غالبًا، ويخلو من ذلك أحيانًا ليكفِّر عنه سيئاته، بخلاف الكافر، فإن الغالب عليه الصحة ليجيء بسيئاته كاملة يوم القيامة، وعزاه للضياء في «المختارة» لأنس ﷺ.

---

(١) حديثٌ صحيح: رواه معمر بن راشد في الجامع (١١/ ١٢٧)، وأحمد في المسند (٤/ ١١٤)، والحارث في مسنده كما في زوائد الهيثمي (١/ ١٥٨)، والبيهقي في الشعب (١/ ٥٦)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٤٠٢)، وعبد بن حميد في المسند (١/ ١٢٤)، (٣٠١)من طريق أبي قلابة به فذكره وبنحوه.

وأورده ابن أبي حاتم في العلل (١/ ٣٣٦)، وقال: قلت لأبي: هذا الرجل يُسمى؟ قال: لا ،وليس هذا من أهل الشام.

قلت: والذي في الأصل (رجل من أسلم) والله أعلم. وانظر: التمهيد لابن عبد البر (٩/ ٢٤٧).

ورواه أحمد والطبراني في الكبير عن أبي قلابة عن عمرو بن عبسة قال: قال رجل فذكره بنحوه كما في المجمع (١/ ٥٩) وقال الهيثمي: ورجال أحمد موثقون وهو في المسند (٤/ ١١٤).

وفي الباب عن عمرو بن العاص، وعن عبد الله بن عمرو قال: جاء أعرابي، وبنحوه عن ابن عباس عند البخاري (١/ ٩)، (٣/ ١٠٧٦)، ومسلم (٣/ ١٣٩٦)، حديث هرقل.

(٢) حديثٌ حسنٌ: رواه أبو يعلى في مسنده، (٥/ ٤٠٦)، (٣٠٨٠)، (٦/ ٤١)، (٣٢٨٦)، (٦/ ١٩٠)، (٣٤٧٥)، والبخاري في التاريخ الكبير (١٤٩٢)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٢١٦)، والرامهرمزي في أمثال الحديث (٣٨). من طريق ثابت البناني عن أنس به فذكره.

ورواه أحمد في المسند (٣/ ٣٨٧، ٣٩٤)، والبيهقي في الشعب (٥/ ٤٠٨)، والقضاعي في الشهاب (٢/ ٢٨٠)، (١٣٦٠)، من حديث جابر مرفوعًا بنحوه.

الشعبة الخمسون

[محبة سيدنا علي ﷺ]

قال عدي بن ثابت: عن زرٍّ، عن عليٍّ قال: ثُمَّ والذِي فَلَقَ الحبَّةَ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ، لعَهِدَ إليَّ النبيُّ ﷺ ألا يُحِبَّك إلا مؤمنٌ، ولا يُبغضُك إلا منافقٌ. رواه مسلم(١).

شرح الحديث: إن من عرف من هو الإمام علي ﷺ وقربه من رسول ﷺ، وحب النبي ﷺ له، وما كان منه في نصرة الإسلام وسوابقه فيه، أحبه لذلك، ولمكانته العالية في الإسلام، كان هذا من دلائل صحة إيمانه، وصدقه في إسلامه لسروره بظهور الإسلام، والقيام بما يرضي الله -سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، ومن أبغضه كان بضد ذلك، واستدل به على نفاقه وفساد سريرته.

قال ابن إسحاق: أول من آمن بالله ورسوله من الذكور عليٌّ بن أبي طالب، وهو قول ابن شهاب والزهري.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: استنبئ النبي يوم الإثنين وصلَّى عليٌّ يوم الثلاثاء، أسلم ﷺ وهو ابن ثمان سنين، أو عشر سنين، أو ثلاث عشرة سنة قال ﷺ:

سَبَقْتكمُوا إلى الإسلامِ طُرًّا غُلامًا مَا بلغتُ أوانَ حُلُمي

وهو أحد العلماء الربَّانيين، والشجعان المشهورين، والزهَّاد المعروفين، وأحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، شهد بدرًا، وأحدًا، والخندق، والحديبية، وسائر مشاهد رسول الله ﷺ ما خلا تبوك؛ فإن رسول الله ﷺ خلَّفه على المدينة، وقال: «**أنت منِّي يا عليُّ**

---

(١) **حديثٌ صحيحٌ**: رواه مسلم (٧٨)، (١/ ٨٥)، والترمذي (٥/ ٦٤٣)، (٣٧٣٦)، والنسائي في الصغرى (٨/ ١١٥)، وفي الكبرى (٥/ ١٣٧)، (١٨٤٨٥)، (٦/ ٥٣٤)، (١١٧٤٩)، وأبو نعيم في المسند المستخرج على مسلم (١/ ١٥٧)، (٢٣٧)، والحميدي في مسنده (١/ ٣١)، (٥٨)، وأبو يعلى (١/ ٢٥٠)، (٢٩١)، وابن منده في الإيمان (١/ ٤١٤)، (٢٦١)، (٢/ ٦٠٧)، (٥٣٢)، والعدني في الإيمان (١٤) - بتحقيقنا- وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٨٥)، والرافعي في التدوين (٢/ ٢٨١)، والخطيب في الموضح (٢/ ٥٤٦)، والحاكم في معرفة علوم الحديث (ص١٨٠)، جميعهم من طريق عدي بن ثابت به، فذكره.

بمنـزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي[1].

«وكانت بيعته في أول العشر من ذي الحجة، سنة خمس وثلاثين من الهجرة، واجتمع على بيعته المهاجرون والأنصار، وتخلَّف عن بيعته نفرٌ منهم فلم يهجهم، وسُئِل عنهم؟ فقال: أولئك قومٌ قعدوا عن الحق ولم يقوموا مع الباطل[2].

ولم يحجّ ﷺ في شيءٍ من خلافته لاشتغاله بالحرب، وكانت وفاته في شهر رمضان من سنة أربعين من الهجرة، ضربه ابن ملجم -لعنه الله- ليلة الجمعة، السابع عشر من شهر رمضان، وقُبض في أول ليلة من العشر الأواخر، واختلفوا في سنِّه يوم وفاته، فقيل: سبع وخمسون، وقيل: ثمان وخمسون، وقيل: ثلاث وستون، قاله أبو نعيم.

وكانت خلافته أربع سنين وسبعة أشهر وستة أيام.

ودُفن — كرم الله وجهه- في أرض النجف ﷺ وأرضاه.

وكان ﷺ وكرَّم وجهه ربعة من الرجال، إلى القصر ما هو أقرب، أدعج العينين، حسن الوجه، كأنه القمر ليلة البدر، حسنًا، ضخم البطن، عريض المنكبين، شثن الكف[3]، أصلع ليس في رأسه شعرٌ إلا من خلفه، كبير اللحية، بمنكبه مشاش كمشاش السبع الضاري، لا يُعرف عضده من ساعده، إذا مشي تكفَّى، وإذا أمسك بذراع رجل فكأنما أمسك بنفسه، وهو إلى السمن ما هو أقرب، شديد الساعد واليد، وإذا مشي إلى الحرب هرول، ثبت الجنان، قويٌّ، شجاع، منصورٌ على من لاقاه.

وسُئِلَ الإمام محمد الباقر ﷺ عن صفة الإمام عليٍّ ﷺ؟ فقال: كان رجلاً آدم، شديد الأدمة، ثقيل العينين، عظيمهما، ذا بطنٍ، أصلع، ربعة إلى القصر، لا يخضب.

وكان ﷺ يقول: «الدنيا جيفةٌ، فمن أراد منها شيئًا فليصبر على مخالطة الكلاب»[4].

قال العلماء: والمراد بالدنيا ما زاد على الحاجة الشرعية، بخلاف ما دعت الضرورة إليه.

---

(١) رواه البخاري (٤/ ١٦٠٢)، ومسلم (٤/ ١٨٧٠).

(٢) ذكره المزي في تهذيب الكمال (٢٠/ ٤٨٧)، وابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ١١٢١).

(٣) شثن الكفين: أي سائل الأطراف.

(٤) ذكره النووي في تهذيب الأسماء (١/ ٣١٧).

وقال أبو عبيدة ﷺ: ارتجل الإمام عليٌّ ﷺ تسع كلمات قطع الأطماع عن اللحاق بها حدةً، منهن ثلاثٌ في المناجات، وثلاثٌ في العلم، وثلاثٌ في الأدب.

فأما التي في المناجاة، فهي قوله ﷺ: «كفاني عزًّا أن تكون لي ربًّا، وكفاني فخرًا أن أكون لك عبدًا، أنت لي كما أحب، فوفِّقني لما تحبُّ»[1].

وأما التي في العلم، فهي قوله ﷺ: «المرء مخبوءٌ تحت لسانه، تكلَّموا تُعرفوا، ما ضاع امرؤٌ عرف قدره»[2].

وأما التي في الأدب، فهي قوله ﷺ: «أنعمْ على من شئت تكنْ أميره، واستغنِ عمَّن شئت تكنْ نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره»[3].

وكان ﷺ يقول: «لا يحبُّني إلا مؤمنٌ، ولا يبغضني إلا منافقٌ»[4].

وكان آخر كلامه قبل موته: «لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله»[5].

وكان ﷺ يقول: «موتُ الإنسان بعد أن كبر وعرف ربه خيرٌ من موته طفلاً ولو دخل الجنة بغير حساب؛ لأن أقل ما هناك أن العبد يُجالس ربَّه في الجنة بقدر ما عمل من العبادات»[6].

وكان ﷺ يقول: «أعظمُ الناس معرفةً بالله أشدُّهم حبًّا وتعظيمًا لأهل لا إله إلا الله»[7].

وقيل له مرةً: ألا نحرسك يا أمير المؤمنين؟! فقال: «حارس كل امرئٍ أجله»[8].

وكان ﷺ يقول: «كونُوا لقَبول أعمالكم أشدَّ اهتمامًا منكم بالعمل؛ فإنه لم يقل عملٌ مع

---

(١) ذكره الموصلي في الانتصار (ص٢٨٣) بتحقيقنا.
(٢) ذكره المناوي في فيض القدير (٤/ ٢٤١) بنحوه.
(٣) ذكره الغزالي في الإحياء (٢/ ٤٢٩)، و الشامي الصالحي في سبل الهدى والرشاد (١١/ ٣٠١)..
(٤) رواه مسلم (١/ ٨٦)، والنسائي (٦/ ٥٣٥)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٦٥).
(٥) رواه الطبري في التفسير (١٦/ ٦) بنحوه.
(٦) ذكره المناوي في فيض القدير (٤/ ٢٨١) بنحوه.
(٧) ذكره المناوي في فيض القدير (٥/ ٩) بنحوه.
(٨) ذكره العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٩٠) بنحوه.

التقوى، وكيف يقلُّ عملٌ متقبَّلٌ»[1].

وكان ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة أتت الدنيا بأحسن زينتها.

ثم قالت: يا رب هبني لبعض أوليائك، فيقول الله تعالى لها: اذهبي بلا شيء؛ فلأنتِ أهون من أن أهبك لبعض أوليائي، فتُطوى كما يُطوى الثوب الخَلِق، فتُلقى في النار»[2].

وكان ﷺ يقول: «لا يرجونَّ امرؤٌ إلا ربه ولا يخافنَّ إلا ذنبه»[3].

وكان ﷺ يقول: «لا يَسْتَحِ جاهلٌ أن يسأل عمَّا لا يعلم، ولا يَسْتَحِ عالمٌ إذا سُئل عمَّا لا يعلم أن يقول: الله أعلم»[4].

وكان ﷺ يقول: «إنَّ أخوفَ ما أخاف عليكم اتِّباع الهوى وطول الأمل، فأمَّا اتباع الهوى فيُضلُّ عن الحق، وأما طول الأمل فيُنسي الآخرة»[5].

وكان ﷺ يقول: «الفقيهُ كل الفقيه من لا يقنِّط الناس من رحمة الله، ولا يؤمِّنهم من عذاب الله، ولا يرخِّص لهم في معاصي الله، ولا يدع القرآن رغبةً منه إلى غيره»[6].

وكان ﷺ يقول: «لا خيرَ في عبادةٍ لا علم فيها، ولا خير في علمٍ لا فهم فيه، ولا خير في قراءةٍ لا تدبُّر فيها»[7].

وكان ﷺ يقول: «كونوا ينابيع العلم ومصابيح الدُّجى، خُلقان الثياب، جُدد القلوب، تُعرفون به في ملكوت السموات، وتُذكرون به في ملكوت الأرض»[8].

وكان ﷺ يقول: «لو حننتم حنين الوالد الثكلان، وجأرتم جؤار مبتلي الرهبان، ثم خرجتم عن أموالكم وأولادكم في طلب القرب من الله وابتغاء رضوانه وارتفاع درجة عنده

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٧٥) بنحوه.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٧٢).

(٣) ذكره ابن الجوزي في صفوة الصفوة (١/ ٣٢٦) بنحوه.

(٤) رواه البيهقي في الشعب (٧/ ١٢٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٧٦).

(٥) رواه البيهقي في الشعب (٧/ ٣٦٩)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (١/ ١٤٨) بنحوه.

(٦) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٧٧).

(٧) رواه الدارمي في السنن (١/ ١٠١).

(٨) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٧٧).

أو غفران سيئة كان ذلك قليلاً فيما تطلبون[١].

وكان ﷺ يقول: «القلوبُ أوعيةٌ وخيرها أوعاها، ثم يقول: ها ها إنَّ ها هنا-وأشار إلى صدره- علمًا لو أصبت له حملةً[٢].

وأُتي بفالوذج فوُضع قدامه، فقال: «إنَّك لطيبُ الريح، حسنُ اللون، طيبُ الطعم، لكنِّي أكره أن أعوِّد نفسي ما لم تعتد»، ولم يأكل منه شيئًا[٣].

ولم يأكل طعامًا منذ قُتل عثمان ونُهبت الدار إلا مختومًا حذرًا من الشبهة، وكان قوته وكسوته شيئًا يجيئه من المدينة، ولم يأكل من طعام العراق إلا قليلاً، وكان يرقِّع قميصه، ويقول: «لبسُ المرقَّع يخشِّع القلبَ ويقتدي به المؤمن[٤].

وكان ﷺ يقطع من كمِّ قميصه ما زاد على رفس الأصابع.

وكذلك كان الإمام عمر -رضي الله عنهما- وكان يبرد في الشتاء حتى ترتعد أعضاؤه من البرد، فقيل له: ألا نأخذ لك كساءً من بيت المال، فإنه أوسع؟! فقال: «لا أُنقص المسلمين من بيت مالهم شيئًا[٥].

وكان ﷺ يقول: «أشدُّ الأعمال ثلاثةٌ: إعطاء الحقِّ من نفسك، وذكر الله تعالى على كل حالٍ، ومواساة الأخ بالمال[٦].

وكان يقول ﷺ: «لا يرضى الحق تعالى من أهل القرآن الادهان في دينه والسكوت على معاصيه[٧].

وكان ﷺ يقول: «ما نلتَ من دنياك فلا تكثر به فرحًا، وما فاتك منها فلا تيأس عليه

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٧٧) بنحوه.
(٢) رواه الخطيب البغدادي في تاريخه (٦/ ٣٧٩) بنحوه.
(٣) ذكره الموصلي في الانتصار (ص٢٨٤) بتحقيقنا.
(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٨٣)، وابن أبي عاصم في الزهد (١/ ١٣١) بنحوه.
(٥) ذكره الشوكاني في نيل الأوطار (٤/ ٥٤) بنحوه.
(٦) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٨٥)، والرافعي في التدوين (٤/ ٧٠).
(٧) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٨٥)، وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ٤١١).

حزنًا، وليكنْ همُّك فيما بعد الموت[1].

وكان ﷺ يقول: «إنَّ مع كلِّ إنسانٍ ملكين يحفظانه ما لم يقدر، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، وإن الأجل جنَّةٌ حصينةٌ»[2]. وكان ينشد ويقول:

حقيقٌ بالتَّواضعِ مَنْ يموتُ ... وَيَكْفِي المَرْءَ مِنْ دُنْيَاه قوتُ

فَمَا للمرءِ يصبحُ ذَا همومٍ ... وَحِرصٍ لَيْسَ تُدْرِكُهُ النُّعُوتُ

فَيَا هَذَا سَتَرْحَلُ عَنْ قريبٍ ... إلى قَوْمٍ كلامُهُمُ السُّكُوتُ

ومناقبه ﷺ كثيرةٌ، أخرج البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لعليٍّ: «أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنَّه لا نبيَّ بعدي»[3].

وعن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطينَّ هذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه، يحبُّ الله ورسوله، ويحبُّه الله ورسوله، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجون أن يُعطاها، فقال:« أين عليُّ بن أبي طالب؟» فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: «فأرسلوا إليه». فأتي به، فبصق النبي ﷺ في عينيه فبرأ حتى كأن لم يكن به وجعٌ، فأعطاه الراية، فقال عليٌّ: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال: «أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من أن يكون لك حمر النعم»[4].

وعن البراء ﷺ أن النبي ﷺ قال لعليّ: «أنت مني وأنا منك»[5].

وقال عمران بن حصين ﷺ: إن النبي ﷺ قال: «إن عليًّا مني وأنا منه، وهو وليُّ كل مؤمنٍ»[6].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في صفوة الصفوة (١/ ٣٢٧).

(٢) رواه الطبري في التفسير (١٣/ ١١٩)، وذكره ابن كثير في التفسير (٢/ ٥٠٥).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه مسلم (٤/ ١٨٧٢)، والنسائي (٥/ ٤٦).

(٥) رواه البخاري (٢/ ٩٦٠)، والترمذي (٥/ ٦٣٥).

(٦) رواه الترمذي (٥/ ٦٣٢)، والنسائي (١/ ١٤)، وأحمد (٤/ ٤٣٧).

وعن زيد بن أرقم ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **«مَنْ كنت مولاه فعليّ مولاه»**[1].

وعن حبشي بن جنادة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«علي مني وأنا من عليّ، ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي»**[2].

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، فجاءه عليّ تدمع عيناه، فقال: آخيت بين أصحابك ولم تؤاخِ بيني وبين أحدٍ، فقال رسول الله ﷺ: **«أنت أخي في الدنيا والآخرة»**[3].

وعن أنس ﷺ قال: كان عند رسول الله ﷺ طيرٌ فقال: **«اللَّهُمَّ ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير، فجاء علي فأكل معه»**[4].

وقال عليّ ﷺ وكرَّم وجهه: **«كنت إذا سألت رسول الله ﷺ أجابني، وإذا سكتُّ ابتدأني»**[5].

وعنه أيضًا ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا دارُ الحكمةِ وعليّ بابها»**[6].

وعن جابر ﷺ قال: دعا رسول الله ﷺ عليًّا يوم الطائف فانتجاه، فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمه، فقال رسول الله ﷺ: **« ما انتجيته، ولكنَّ الله انتجاه»**[7].

ومن كراماته الباهرة

أن الشمس ردت عليه لما كان رأس النبي ﷺ في حجره، والوحي ينـزل عليه، وعليّ ﷺ لم يصلِّ العصر فما سرى عنه ﷺ إلا وقد غربت الشمس.

فقال ﷺ: **«اللَّهُمَّ إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس فطلعت**

---

(١) رواه الترمذي (٥/ ٦٣٣).

(٢) رواه الترمذي (٥/ ٦٣٦)، وابن ماجه (١/ ٤٤).

(٣) رواه الترمذي (٥/ ٦٣٦)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٥).

(٤) رواه الترمذي (٥/ ٦٣٦).

(٥) رواه الترمذي (٥/ ٦٣٧).

(٦) رواه الترمذي (٥/ ٦٣٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٦٤).

(٧) رواه الترمذي (٥/ ٦٣٩)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٨٦).

بعدما غربت[(١)].

وحديث (ردّها) صححه الطحاوي والقاضي في الشفاء، وحسَّنه شيخ الإسلام أبو زرعة وتبعه غيره.

وأخرج البخاري ومسلم عن سهل ﷺ أن النبيَّ ﷺ وجد عليًّا مضطجعًا في المسجد وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه ترابٌ، فجعل يمسح عنه،ويقول: «**يا أبا تراب**[(٢)]»، فلذلك كانت هذه الكنية أحب الكنى إليه. قال أحدهم في ذلك وأحسن:

إذَا مـا رمـدتْ عينـي فكحـلي تـراب مِـنْ نَعْـلِ أبي تـرابِ

هـو البكـاءُ في المحـرابِ لَـيْلاً هـو الـضحاكُ في يـوم الـضرابِ

ووصفه ضرار بن حمزة ﷺ فقال: كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، ينفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من لسانه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، وكان غزير الدمعة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قَصُر، ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه إيَّانا وقربه منا، لا نكاد نكلمه هيبةً له، يعظِّم أهل الدين، ويقرب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، قابضًا على لحيته الكريمة، يتململ تململ السقيم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: «**يا دنيا غري غيري، إليَّ تعرضتِ، أو إليَّ تشوقتِ، هيهات هيهات! قد بايعتك ثلاثًا لا رجعة لي فيك فعمرك قصير، وخطرك كثير، آه آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق، رضي الله عن تلك النفس الزكيَّة**[(٣)]».

ولما وصل إليه فخرٌ من بني أمية قال لغلامه: اكتب إليهم ثم أملى عليهم:

مُحَمَّـدٌ النَّبِـيُّ أَخـي وَصِـهري وَحَمـزَةُ سَـيِّدِ الـشُهداءِ عَمّـي

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٤/ ١٥١).

(٢) رواه البخاري (٣/ ١٣٥٨)، ومسلم (٤/ ١٨٧٤).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٨٥).

وَجَعفَرٌ الَّذي يُضحي وَيُمسي يَطيرُ مَعَ المَلائِكَةِ اِبنَ أُمّي
وَبِنتُ مُحَمَّدٍ سَكَني وَعُرسي مَشوبٌ لَحمُها بِدَمي وَلَحمي
وَسبطا أَحمَدٌ وَلَداي مِنها فَمَن مِنكم لَهُ سَهمٌ كَسَهمي
سَبَقتُكُمُ إِلى الإِسلامِ طُرّاً غُلاماً ما بَلَغتُ أَوانَ حلمي
أَنا البَطَلُ الَّذي لَن تُنكِروهُ لِيَومِ كَريهَةٍ وَلِيَومِ سِلمِ
وَأَوجَبَ لي وِلايَتَهُ عَلَيكُم رَسولُ اللهِ يَومَ غَديرِ خَمٍّ
وَأَوصاني النَبِيُّ عَلى اِختيارٍ بِبَيعَتِهِ غَداةَ غَدٍ بِرَحمِ
وَأَوصى بِي لِأُمَّتِهِ لِحُكمي فَهَل فيكُم لَهُ قَدمٌ كَقَدمي
ألا مَنْ شَاءَ فَليُؤمِن بهذا وإلا فَليَمُتْ كَمَدًا بِغَمٍّ

قال البيهقي: إن هذا مما يجب على كل متوانٍ في عليّ ﷺ حفظه؛ ليعلم مفاخره في الإسلام، ومناقبه ومحاسنه ﷺ أكثر من أن تُحصى. قال الإمام الشافعي ﷺ:

قالوا تَرَفَّضتَ قُلتُ كَلّا ما الرَفضُ ديني وَلا اِعتِقادي
لَكِن تَوَلَّيتُ غَيرَ شَكٍّ خَيرَ إِمامٍ وَخَيرَ هادي
إِن كانَ حُبُّ الوَلِيِّ رَفضاً فَإِنَّ رَفضي إِلى العِبادِ

ولما أُصيب ﷺ دعا الحسن والحسين -رضي الله عنهما- فقال لهما: أوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا وإن تبغيكما، ولا تبكيا على شيءٍ زوى منها عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم، وأعينا الضعيف، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصمًا، وللمظلوم أنصارًا، واعملا لله، ولا تأخذكما في دين الله لومة لائم، ثم نظر إلى ولده محمد بن الحنفية ﷺ فقال له: هل حفظت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم، قال: أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخويك لعظم حقهما عليك، ولا تؤثر أمرًا دونهما، ثم قال: أوصيكما به فإنه أخوكما، وابن أبيكما، وقد علمتما أن

أباكما كان يحبه، ثم لم ينطق إلا بـ(لا إله إلا الله) إلى أن قُبض ﷺ وأرضاه[١].

وقوله في الحديث: (فلق الحبة) فمعناه: شقَّها بالنبات.

وقوله: (وبرأ النسمة) أي: خلق النسمة، وهي الإنسان، وقيل: النفس.

وحكى الأزهري أن النسمة هي النفس، وأن كل دابة في جوفها روح فهي نسمة، والله أعلم.

وبالجملة: فإن محبة الخلفاء الأربعة واجبةٌ، وتفضيلهم حسب ترتيبهم، وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة.

وانظر: «شرح مسلم» للنووي (١/ ٣٤٢)، و«الانتصار» للموصلي (ص٢٨٠)، و«الشرف المؤبد» لآل محمد ﷺ (٦٤) كلاهما بتحقيقنا.

الشعبة الحادية والخمسون

[الإحسان ومعيَّة الرحمن]

قال ابن كثير ... قال نعيم بن حماد: ثنا عثمان بن كثير بن دينار عن محمد بن المهاجر، عن عروة بن رويم اللخمي، عن عبد الرحمن بن غنم، عن عبادة بن الصامت قال: قال ﷺ: «**إنَّ مِنْ أفضلِ إيمانِ المرءِ أنْ يَعْلَمَ أنَّ الله معَهُ حيثُ كانَ**»[٢].

وقال أبو نعيم: غريب من حديث عروة لم نكتبه إلا من حديث محمد بن مهاجر.

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٠٤): قال نعيم بن حماد: حدثنا عثمان بن سعيد ابن كثير بن دينار عن محمد بن مهاجر... فذكره، وقال: غريب، فلعله نُسب هنا إلى جدّه، والله أعلم.

شرح الحديث: هذا بيان عن أهل المعية والمعرفة، وليس أهل الغفلة عن الله وذكره.

---

(١) رواه الطبري في تاريخه (٣/ ١٥٧).

(٢) حديثٌ حسنٌ: رواه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٧٠)، (٧٤١)، وكذلك في الأربعين الصغرى (أ/ ٦٢)، (٢٤)، وفي الأسماء والصفات له (٥٤١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ١٢٤)، من طريق نعيم بن حماد به.

فأهل المعرفة: إذا ناموا يقولون: غدًا ماذا يفعل الله بنا؛ لأنهم يعتقدون أن الأمور بيد الله تعالى.

أما أهل الغفلة إذا ناموا يقولون: غدًا سنعمل كذا وكذا، اعتقادًا منهم أن الأمور بأيديهم يتصرفون كما يريدون.

فأهل الزهد والعبادة إذا أصبحوا يتفقدون أحوالهم مع الله -سبحانه وتعالى- ويهتمون بزيادة طاعتهم وأعمالهم الصالحة.

وأهل المعرفة إذا أصبحوا أو أمسوا يتفقدون قلوبهم مع الله ﷻ.

وأهل الغفلة إذا أصبحوا يتفكرون في الدنيا، ويبحثون عنها، ويتفقدون أحوالهم بزيادتها ونقصانها، ولا هَمّ لهم غيرها.

فانظر في نفسك يا أخي؛ لتعرف من أي طائفة أنت، ولا تخدعنك نفسك، واعلم بأنه ما من شيء يبديه الله فيك من طاعة أو معصية أو صحة أو مرض أو غنى أو فقر إلا وهو يريد أن يختبرك بذلك ويبتليك، لتعلم قدر اعتقادك في معيته تعالى.. واعلم أن القرب من الله هو قرب العبد من الله تعالى بكل ما يعطيه السعادة.

فإنه من حيث دلالة **﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾** [الحديد:٤]، قرب عام، سواء كان العبد سعيدًا أو شقيًّا.

وإن المراقبة: هي استدامة علم العبد باطلاع الرب -سبحانه وتعالى- عليه في جميع أحواله.

وقيل: هي تسليط هيبة حضور الحق ونظره على القلب وسائر الأعضاء في حركاتها وسكناتها قال الله تعالى: **﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾** [النساء:١].

وقال ﷺ لجبرائيل عليه السلام: لما سأله عن الإحسان: **«أنَ تَعْبُدَ الله كأنَّك تَرَاهُ، فَإِنْ لم تَكُنْ تراهُ فإنَّه يَرَاكَ»**.

فقوله: **«فإن لم تكن تراه فإنه يراك»** رواه البخاري (١/ ٢٧)، ومسلم (١/ ٣٧).

ففي الحديث إشارة إلى حال المراقبة واعلم أن المراقبة أصل كل خير وسعادة ونجاة، ولا يصل العبد إلى مقام المراقبة إلا بعد محاسبته نفسه على ما مضى، وإصلاح وقته الحاضر.

وقال أحدهم: من راقب الله تعالى في خواطره عصمه الله تعالى في جوارحه.

وقال أحد الحكماء لرجل: استح من الله على قدر قربه منك، وعلمه بك، وخفه على قدر قدرته عليك، واستعد للدنيا بقدر إقامتك فيها، وأطع الله بقدر حاجتك إليه، واشكره بقدر نعمه عليك.

وكتب أحد العلماء إلى صديق له: أما بعد.. فإني أوصيك بتقوى الله والعمل بما علمك الله، ومراقبة الله حيث لا يراك أحد إلا هو، والاستعداد لما لابد منه، وليس لأحدٍ فيه حيلة، ولا ينفع الندم عند نزوله.

وآخرًا نسأل الله أن يجعلنا من القرب والمعية والمراقبة.

وانظر: «تاج العروس في تهذيب النفوس» (ص٧٨)، و«جامع الأصول» (ص٢٢٣) كلاهما بتحقيقنا.

الشعبة الثانية والخمسون

[محبة أهل النبي ﷺ من الإيمان]

قال خالد بن عبد الله عن الأجلح عن أبي الضحى، عن العباس بن عبد المطلب قلت: يا رسول الله، إنا لنعرف في وجوه أقوام الضغائن من أصحابك من وقائع أوقعتها فيهم؟ فقال رسول الله ﷺ: **«لا يَبْلُغُون الخيرَ»** أو قالَ: **«الإيمانُ حتَّى يُحِبُّوكُمْ لله ولرسولِهِ ولقرابتي، يرجُوا سلهب شفاعتِي، ولا يَرْجُوهَا بَنُو عبدِ المطلبِ»**[١].

من شرح الحديث: لا شك في وجوب محبة آل النبي ﷺ وأقاربه وذريته فقد وصى بهم أشد وصية، ألا يكفيهم الشرف المؤبد أنهم أهل النبي محمد ﷺ.

وفي معنى التمسك بالعترة وآله ﷺ.

قال القاري: والمراد بالأخذ بهم التمسك بمحبتهم وحفظ حرمتهم، والعمل بروايتهم، والاعتماد على مقالتهم، وهو لا ينافي أخذ السنة من غيرهم.

وقال ابن عبد الملك: معنى التمسك بالعترة محبتهم والاهتداء بهديهم وسيرتهم، إذا لم يكن مخالفًا للدين.

---

(١) حديث حسن لغيره: رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١٧٥٧)، (١٧٥٩)، بتحقيقنا، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٢١٣)، (٦/ ٣٨٢)، والخطيب في التاريخ (٥/ ٣١٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٤٣٣)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٨/ ٣٩٠)، وحسنه بالمتابعة من حديث العباس ابن عبد المطلب ﷺ به، فذكر بنحوه.

وقوله ﷺ الذي في صحيح مسلم (٤/ ١٨٧٣): «أذكركم الله في أهل بيتي» أي: في الوصية بهم واحترامهم وكرره ثلاثًا للتأكيد.

قال الفخر الرازي: جعل الله تعالى أهل بيته مساوين له في خمسة أشياء:

في المحبة، وتحريم الصدقة، والطهارة، والسلام، والصلاة، ولم يقع ذلك لغيرهم.

قال ابن منظور في لسان العرب (١/ ٤٧٤): السلهب: الطويل عامة، وقيل: هو الطويل من الرجال، وقيل: هو الطويل من الخيل والناس.

وقال الجوهري: السلهب من الخيل الطويل على وجه الأرض، وربما جاء بالصاد والجمع السلاهبة، ويقال: فرس سلهب، إذا عظم وطال وطالت عظامه.

وانظر: «تحفة الأحوذي» (١٠/ ١٩٧)، و«فيض القدير» (٢/ ١٧٤).

الشعب الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والخمسون

[حب الإيمان، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، السلام على الأهل إذا دخلت عليهم، السلام على القوم إذا مررت بهم].

فهذه خمس شعبٍ في كلٍّ منها حديثٌ صحيحٌ.

الشرح: فالشعبة الأولى مما ورد فيها حديث:

عن أبي رزين أنه قال: قلت: يا رَسُولَ الله، مَا الإيمانُ؟ قال: **أنْ تَشْهَدَ أن لاَ إِلَه إلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ له، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، وأَنْ يَكُونَ الله ورسُوله أحبَّ إِلَيْكَ مِمَّا سِوَاهما، وأنْ تحترقَ فِي النَّارِ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ أن تُشْرِكَ بالله شَيْئًا، وأنَّ ذَا نَسَبٍ لاَ تُحِبه إلا لله، فَإذَا كُنت كذلكَ فَقَدْ دَخَلَ حُبُّ الإيمانِ في قَلْبِكَ، كَمَا دَخَلَ حُبُّ الماءِ للظمآنِ في اليوم القائِظِ»** قُلتُ: يَا رسولَ الله، كَيْفَ لِي بأنْ أعلن أني مؤمنٌ؟ قَالَ: «**مَا مِنْ أُمَّتِي (أو قال: هذه الأمة) عَبْدٌ يَعْمَل حَسَنَةً فَيَعْلَم أنها حَسَنَةٌ وأنَّ اللهَ مُجَازِيه بهَا خَيْرًا ولاَ يَعْمَل سَيِّئَةً فَيَعْلَم أنها سَيِّئَةٌ، ويَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْهَا ويَعْلَم أنَّه لاَ يَغفرهَا إلاَّ اللهُ إلا وهو مؤمنٌ**». رواه أحمد في مسنده (١/ ١٨٤).

الشعبة الثانية: الأمر بالمعروف: عن أبي ذر قال: قال لي النبيُّ ﷺ: «**ثمَّ لاَ تُحَقِّرَنَّ مِنَ المعروفِ شَيْئًا ولَوْ أَنْ تُلْقِي أَخَاكَ بِوَجْهٍ طلقٍ**».

رواه مسلم في الصحيح (٢٦٢٦)، (٤/ ٢٠٢٦).

والشعبة الثالثة: النهي عن المنكر: عن أبي سعيد الخدري قال: قال ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ».

رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٩).

والشعبة الرابعة: السلام على الأهل إذا دخلت عليهم: عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ يقول: إذَا دَخَلتُمْ بُيُوتَكُمْ فَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا، ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النور:٦١] وهو السَّلاَمُ؛ لأنَّه اسْمُ الله وهُو تحيةُ أَهْلِ الجنَّةِ». رواه البيهقي في الشعب (٨٨٣٥).

والشعبة الخامسة: السلام على القوم إذا مررت بهم: عن عبد الله بن عمرو «إنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ: أيُّ الإسْلاَمِ خَيرٌ؟ قَالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرِفَت ومَنْ لَمْ تَعْرِف**». رواه البخاري (١/ ١٣)، (٢٨)، ومسلم (١/ ٦٥)، (٣٩).

الشعبة الثامنة والخمسون

[الزهد وقصر الأمل]

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله قال: «**نَعْمَتَانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصِّحة والفَراغ**». رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٣٥٧).

شرح الحديث: هذا الحديث يُشير إلى ضرورة الزهد في الدنيا والعمل للآخرة.

ونورد في معرفة الزهد وقصر الأمل في الدنيا إشارات ولطائف من أقوال شيخ الزاهدين وسيِّد الطائفة الإمام الجنيد -قدَّس الله سره.

قال الجنيد: إن أمكنك ألا تكون آله بيتك إلا خزفًا فَافْعَلْ[1].

وسُئِلَ عن الزهد فقال: الزهد خلو القلب عمَّا خلت منه اليد، واستصغار الدنيا، ومحو آثارها من القلب[2].

---

(١) انظر: الرسالة (١/ ١٠٦).

(٢) انظر: الرسالة (١/ ٢٩٥)، والكواكب (١/ ٥٨٢)، ومدارج السالكين (٢/ ١١).

وسُئل عن الزهد؟ فقال: خلو اليد من الأملاك، والقلب من الطمع(١).

وقال: الزهد خلوُّ القلب ممَّا خلت منه اليد(٢).

وسُئل عن الزهد؟ فقال: للزهد معنيان، ظاهر وباطن، فالظاهر: بغض ما في الأيدي من الأملاك، وترك طلب المفقود، والباطن: زوال الرغبة عن القلب، ووجود العزوف والانصراف عن ذكر ذلك، فإذا تحقق بذلك رزقه الله تعالى الإشراف على الآخرة والنظر إليها بقلبه، فحينئذٍ يجدُّ في العمل بتقصير الأمل، وتقريب الأجل؛ لأن الأسباب عن قلبه منقطعة، والقلب منفرد بالآخرة، وحقيقة الزهد قد خلصت إلى قلبه، فامتلأ من الذكر الخالص لربه - سبحانه وتعالى- فالزهد عن حقيقة الإيمان، والمشاهدة للآخرة تكون بعد الزهد واستواء الأشياء، فيكون عدمها كوجودها بعد المشاهدة؛ لاستواء القلب، ومعه يستوي المدح والذم، لسقوط النفس وذهاب رؤية الخلق، فعندها خلص الإخلاص إلى قلبه لصفاء الزهد، وثبت الزهد لسقوط النفس(٣).

وقال: قال لي سري السقطي: اجتهد ألا تستعمل من آنية بيتك إلا جنسك(٤).

وقال: سمعت السري يقول: مارستُ كل شيءٍ من أمر الزهد، فنلت منه ما أريد إلا الزهد من الناس، فإني لم أبلغه، ولم أطقه(٥).

حكى لنا الجنيد فقال: اجتمع أربعة من الأبدال في جامع المنصور ليلة العيد، فلما أسحروا، قال أحدهم: أما أنا فقد نويت أن أصلي العيد في بيت المقدس. وقال الآخر: أما أنا فقد نويت أن أصلي العيد بطرسوس. وقال الثالث: أما أنا فقد نويت أن أصلي العيد بمكة.

وسكت الرابع وكان أعرفهم، فقيل له: أنت، أي شيء نويت؟ فقال: أما أنا فقد نويت اليوم ترك الشهوات، لا أصلي إلا في هذا المسجد الذي بت فيه، فقالوا: أنت أعلمنا، فقعدوا عنده(٦).

---

(١) انظر: الرسالة (١/ ٢٩٥)، والتعرف (ص١١٢)، والعوارف (ص٢٨٥).

(٢) انظر: الرسالة (١/ ٢٩٤).

(٣) انظر: القوت (١/ ٥٤٨).

(٤) انظر: طبقات الصوفية (ص١٥٩)، وقال أبو طالب المكي في القوت (١/ ٣٤٦): يعنى من الطين، ويقال: لا حساب عليه.

(٥) انظر: الرسالة القشيرية (١/ ٢٩٨).

(٦) انظر: قوت القلوب (١/ ٥٤٧).

اختلف أهل العلم بين عبدين: الأول: ترك الذنب ونفسه تنازعه إليه وهو يجاهدها، والثاني: ترك الذنب ولم تكن نفسه تطالبه ولا تنازعه، ولم يكن في قلبه منه ثقل ولا مجاهدة، أيُّ هذين أفضل؟

قال العلماء: الذي سمحت نفسه بالبذل طوعًا من غير إكراهٍ ولا اعتراضٍ أفضل؛ لأن مقام هذا في سخاء النفس، والتحقق بالزهد أفضل من جميع أعمال الأول من الإكراه والمجاهدة، ومن بذل ماله على ذلك، ولأن الأول وإن غلب نفسه في هذه الكرة لا يأمن غلبتها في كرة ثانية أو ثالثة؛ إذ ليس السخاء من مقامها؛ لأنها كانت محمولة عليه، وإلى هذا ذهب الجنيد- قدَّس الله سره[1].

وماأحسن ما قال الشيخ المحيوي في «حكمه»: «ليس الزاهد من زهد في الدرهم والدينار، إنما الزاهد من زهد فيما سوى الجبار».

قال الباني: المراد بذلك الكامل؛ لأن الزهد يختلف باختلاف المقام، فللعوام زهد بمعنى ترك الحرام، وللخواص زهد أيضًا وهو ترك الفضول من الحلال، ولأخصهم زهد وهو ترك ما يشغلك عن مولاك، والكل خير وممدوح على ما ورد به الحديث حيث قال النبي ﷺ: «الزهد خير كله[2]»، والكامل الأخير؛ لأن حقيقة الزهد أن تترك نفسك دنياك وروحك عُقباك، ويبقى سرّك مع مولاك[3].

وقال الشيخ الجيلي -قُدِّس سرَّه- في الإنسان الكامل: «زهد المسلمين والمؤمنين والمحسنين في الدنيا ولذاتها، وزهد الشهداء في الأولى والعقبى، وزهد الصديقين في سائر المخلوقات، فلا يشهدون إلا الحق تعالى مع الأسماء و الصفات، وزهد المقربين في البقاء معهما

---

(١) انظر: القوت (١/ ٣٧٢).

(٢) ورد بلفظ: «وخير دينكم الورع» من حديث عمرو بن قيس الملائي، رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢٨٤)، ووكيع في الزهد (٢٢٢)، وهنّاد في الزهد أيضًا (٩٣٢)، كلاهما بتحقيقنا، وابن أبي الدنيا في الورع (١٥٩/ ق/ ب)، وابن عبد البر في بيان العلم وفضله (١/ ٢٦).

(٣) فائدة: قال الشيخ الشعراني: قد منّ الله تعالى عليَّ بالزهد في الدنيا من حداثة سِنِّي إلى وقتي هذا، حتى لو أمطرت السماء ذهبًا، ومكتوب على كلّ دينارٍ من أخذ هذا لا يحاسبه الله تعالى عليه في الدنيا ولا في الآخرة، لكنت لا أجد عندي داعية إلى أخذ شيءٍ منه إلا لدَينٍ أُوَفّيه به، أو لسدِّ فاقةٍ في ذلك الوقت الذي أنا فيه فقط، ومن شكَّ في وصولي إلى هذا المقام فالله تعالى يغفر لي وله، إن شاء الله. وانظر: «الدرر واللمع في بيان الصدق في الزهد والورع» للمصنف (ص٣٢) طبع بتحقيقنا.

فهم في الحقيقة الذات»، ويمكن أن يكون مراد الشيخ هذا الأخير وهو الظاهر من إطلاقه، ويمكن أن يكون مراده زهد الصدِّيقين، لكن بتقدير معطوف بعد الجبار، أي: وأسمائه وصفاته، والمعنى ليس الزاهد الكامل الذي يعمل الزهد في الدُّنيا والدرهم المستعبدين للناس والمهلكين لهم حيث ورد: «**أَهْلَكَ النَّاسَ الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ**[1]» بأن يترك الالتفات إليهما بحيث لا يخطران لا هما ولا وجودهما بباله، بل الزاهد الكامل الذي زهد فيما سوى الجبار من الدنيا والآخرة وما يتعلق بهما حتى العلوم والمعارف بأن يشهد الحق وأسماءه وصفاته، بل لا يشهد إلا الذات بدون اعتبار الأسماء والصفات وهذا هو الطي الحقيقي، ومن هنا يقال: المسافة إلى خطوتين، وإليه يشير قوله ﷺ: «**الدُّنْيَا خُطْوَةُ مُؤْمِنٍ**[2]» أي: يتخطاها بالزهد، فافهم.

وقال بشر الحافي ﷺ: «من دخل في طريقنا يومين فقد حاز مُلك الدارين».

فيدلُّ هذا على أن المسافة يومان، في اليوم الأول يترك الدُّنيا، وفي الثاني يترك الآخرة، وفي اليوم الثالث واصل؛ لأنه يكون لربِّه حقًا بلا علل، وأمَّا طي الأيام بلا طعام وشراب وقطع الأرض في أقرب مدة بلا مشي وتعب، فهو رسمي لا اعتداد به.

وقال أحدهم: ليس الشأن أن تُطوى لك الأرض فإذا أنت حيث مشيت من البلاد، بل الشأن أن تُطوى عنك أوصاف نفسك فإذا أنت عند ربك، وقال أحدهم: من مكنه الله على مخالفة هواه فهو أعظم من المشي على الماء والهواء، ويناسبه قول بعضهم: لا تتعجبوا ممن لم يكن في جيبه شيء فيخرج منه ما يريد، ولكن تعجبوا ممن يضع فيه شيئًا فلم يتغير بفقدانه عند إدخال يده في جيبه، وعند هذه الطائفة كل ما يشغلك عن مولاك فهو دنياك تُحجب به عن الحق تعالى، ولذا نفي الشيخ -قُدِّس سرَّه- اسم الزاهد الأعلى عمن زهد فيما سواه تعالى، وهو الغاية العظمى والمطلب الأقصى؛ إذ فيه غاية الرِّضا.

الشعبة التاسعة والخمسون

[الصبر]

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: جاء أناسٌ من الأنصار، فسألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم. قال: فجعل لا يسأله أحدٌ منهم إلا أعطاه حتى نَفِدَ ما عنده، ثم قال لهم حين أنفق كل شيء عنده: «**مَا يَكُونُ عِنْدَنَا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ نَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَسْتَعْفِف يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِه اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْه اللهُ، وَلَنْ تَعْطَوْا عَطَاءً خَيْرًا وأوسع مِنَ الصَّبْرِ**».

رواه البخاري (٣/ ٢٦٥)].

---

(١) ذكره القرطبي في «التفسير» (١٩/ ١٢٩).

(٢) ذكره الباني الكردي في «شرح الحكم الأكبرية» (ص٩٤) بتحقيقنا.

من شرح الحديث: نذكر في مقام الصبر أقوال سيد الطائفة ﷺ أيضًا في ذلك.

سُئل الجنيد ﷺ عن الصبر؟ فقال: هو تجرع المرارة من غير تعب[١].

وقال: كل شيءٍ يقدر الفقير أن يعمله إلا صبره على وقته إلى انقضاء مدته[٢].

وسُئل عن الصبر؟ فقال: حمل المؤمن لله تعالى حتى تنقضي أوقات المكروه[٣].

وقال: السير من الدنيا إلى الآخرة سهلٌ هيِّنٌ على المؤمن، وهجران الخلق في جنب الله تعالى شديد، والسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد، والصبر مع الله أشد[٤].

قال أبو عبد الله المكانسي: كنت عند الجنيد ﷺ فأتت امرأةٌ إليه، وقالت: ادعُ الله أن يردّ علي ابني، فإن ابنًا لي ضاع، فقال لها: اذهبي واصبري، فمضت، ثم عادت فقالت له مثل ذلك، فقال لها الجنيد: اذهبي واصبري، فمضت، ثم عادت ففعلت مثل ذلك مرات، والجنيد يقول لها: اصبري، فقالت له: عيل صبري، ولم يبقَ لي طاقة عليه، فادعُ لي، فقال لها الجنيد: إن كان الأمر كما قلتِ فاذهبي فقد رجع ابنك، فمضت فوجدته، ثم عادت تشكر له، فقيل للجنيد: بم عرفت ذلك؟ فقال قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[٥][النمل:٦٢].

قال عبد الله بن خفيف ﷺ: دخلت بغداد قاصدًا إلى الحج وفي رأسي نخوة الصوفية، أولم آكل أربعين يومًا، ولم أدخل على الجنيد ﷺ، وخرجت ولم أشرب الماء، وكنت على طهارتي، فرأيت ظبيًا في البرية على رأس بئر وهو يشرب، وكنت عطشان، فلما دنوت من البئر ولّى الظبي، وإذا الماء في أسفل، فمشيت وقلت: يا سيدي، ما لي عندك محل هذا الظبي؟ فسمعت قائلاً يقول من خلفي: جربناك فلم تصبر، ارجع فخذ الماء، فرجعت، فإذا البئر ملآنة، فملأت ركوتي، وكنت أشرب منها وأتطهر إلى المدينة ولم ينفد الماء، ولما استقيت سمعت هاتفًا يقول: إن الظبي جاء بلا ركوة ولا حبل، وأنت جئت مع الركوة والحبل؟ فلما رجعت من الحج دخلت الجامع، فلما وقع بصر الجنيد ﷺ عليَّ قال: لو صبرت لنبع الماء من تحت قدميك، لو صبرت صبر ساعةٍ[٦].

---

(١) انظر: الرسالة للقشيري (١/ ٣٩٨)، ونشر المحاسن لليافعي (ص١٥٥)، والكواكب (١/ ٥٨١).

(٢) انظر: اللمع للطوسي (ص٢٣٢).

(٣) انظر: اللمع (ص٧٦).

(٤) انظر: الإحياء للغزالي (٤/ ٧٨) وعدة الصابرين لابن قيم (ص٣٨) وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢/ ٢٦٤)، والرسالة للقشيري (١/ ٣٩٧).

(٥) انظر: الرسالة (٢/ ٥٢٦).

(٦) انظر: الرسالة (٢/ ٧٠٨)، وروض الرياحين (ص٨٣).

الشعبة الستون
[حفظ المسلم سرّ أخيه]

عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّات**»[1].

الشرح: وفى رواية: «**لا يدخل الجنَّة نَمَّام**» وهو مثل الأول، فالقَتَّات هو النَّمام، وهو بفتح القاف وتشديد التاء، المثناة من فوق. قول الجوهرى وغيره.

يُقال: نَمَّ الحديث ينمه، وينمه بكسر النون وضمها نما، والرجل نَمَّام ونمَّه، وقتّه يقته بضم القاف قُتًّات.

قال العلماء: النميمة: نقل كلام الناس بعضهم إلى بعضٍ على جهة الإفساد بينهم.

قال الإمام أبو حامد الغزالي -رحمه الله- في «الإحياء»: اعلم أن النميمة إنما تُطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه، كما تقول فلان يتكلم فيك بكذا، قال: وليست النميمة مخصوصة بهذا، بل حد النميمة كشف ما يكره كشفه، سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه، وسواء كان الكشف بالكناية أو بالرمز أو بالإيماء.

فحقيقة النميمة: إفشاء السر وهتك الستر عمّا يُكره كشفه، فلو رآه يخفي مالاً لنفسه فذكره فهو نميمةٌ، قال: وكل من حملت إليه نميمة، وقيل له: فلان يقول فيك أو يفعل فيك كذا، فعليه ستة أمور: **الأول**: ألا يصدقه؛ لأن النَّمام غير محمود.

الثاني: أن ينهاه عن ذلك وينصحه، ويقبِّح له فعله.

الثالث: أن يبغضه في الله تعالى فإنه بغيضٌ عند الله تعالى، ويجب بغض من أبغضه الله تعالى.

الرابع: ألا يظن بأخيه الغائب السوء.

الخامس: ألا يحمله ما حكى له على التجسس والبحث عن ذلك.

السادس: ألا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه، فلا يحكي نميمة عنه، فيقول: فلان حكى كذا فيصير به نَمَّامًا، ويكون آتيا ما نهى عنه، هذا آخر كلام الغزالي -رحمه الله.

وكل هذا المذكور في النميمة إذا لم يكن فيها مصلحة شرعية، فإن دعت الحاجة إليها فلا مانع منها، وذلك كما إذا أخبره بأن إنسانًا يريد الفتك به أو بأهله أو بماله، أو أخبر الإمام أو من له ولاية بأن إنسانًا يفعل كذا، ويسعى بما فيه مفسدة، ويجب على صاحب الولاية الكشف عن ذلك وإزالته، فكل هذا وما أشبهه ليس بحرامٍ، وقد يكون بعضه واجبًا وبعضه مستحبًّا على حسب المواطن، والله أعلم.

---

(١) رواه البخاري (٥٧٠٩)، ومسلم (١٠٥).

وأما قوله ﷺ: «**لاَ يَدْخُلُ الجنَّةَ نَمَّامٌ**» ففيه التأويلان المتقدِّمان في نظائره، أحدهما: يحمل على المستحل بغير تأويل مع العلم بالتحريم، والثاني: لا يدخلها دخول الفائزين، والله أعلم.

انظر: «**شرح النووي على مسلم**» (٢/ ١١٢).

الشعبة الحادية والستون

[ترك الاحتكار]

عن معمر بن عبد الله بن نافع بن نضلة العدوي ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنِ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ**». رواه مسلم في صحيحه (١٦٠٥).

الشرح: قال الحافظ: الاحتكار الشرعي: إمساك الطعام عن البيع، وانتظار الغلاء مع الاستغناء عنه وحاجة الناس إليه. وبهذا فسَّره مالك عن أبي الزناد، عن سعيد بن المسيب، وعن أحمد: إنما يُحرم احتكار الطعام المقتات دون غيره من الأشياء انتهى.

قوله ﷺ: «**من احتكر فهو خاطئ**» بالهمز: أي عاصٍ آثم.

وقال المناوي: والخاطئ: من تعهد ما لا ينبغي، والمخطئ: من أراد الصواب فصار إلى غيره، كذا قرره قوم. قال النووي: الاحتكار المحرم هو في الأقوات خاصةً بأن يشتري الطعام في وقت الغلاء ولا يبيعه في الحال، بل ادخره ليغلو، فأما إذا جاء من قريةٍ أو اشتراه في وقت الرخص وادَّخره وباعه في وقت الغلاء فليس باحتكارٍ، ولا تحرم فيه الأقوات، فلا يُحرَّم الاحتكار فيه بكل حالٍ انتهى.

قال العلماء: والحكمة في تحريم الاحتكار دفع الضرر عن عامة الناس، كما أجمع العلماء على أنه لو كان عند إنسان طعام واضطر الناس إليه ولم يجدوا غيره أُجبر على بيعه دفعًا للضرر عن الناس. وانظر: «الفتح» (٤/ ٣٤٨)، و«شرح مسلم» (١١/ ٤٣)، و«فيض القدير» (٦/ ٤٤٧).

الشعبة الثانية والستون

[الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمان]

عن أبي مالك ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ**». رواه مسلم[1].

---

(١) **حديث صحيح**: رواه مسلم (١/ ٢٠٣)، (٢٢٣)، وأبو نعيم في المسند المستخرج على مسلم (١/ ٢٨٩)، (٥٣٤)، وأبو عوانة في مسنده (١/ ١٨٩، ٢٢٣)، (٦٠٠)، والدارمي (١/ ١٧٤)، (٦٥٣)، وأحمد (٥/ ٣٤٢، ٣٤٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٢٤)، وابن منده في الإيمان (١/ ٣٧٤)، (٢١١)، والبيهقي في الشعب (١٢)، (٢٧٠٩)، (٢٨٠٥)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٤٣٥)، (٤٣٦)، =

شرح الحديث: قال العلامة المناوي-رحمه الله: جعله الطهور شطر الإيمان أي: شعبة منه، وتقريره بوجوه:

أحدها: إن طهارة الظاهر أمارة لطهارة الباطن؛ إذ الظاهر عنوانه، فكما أن طهارة الظاهر ترفع الخبث والحدث فكذا طهارة الباطن في التوبة تفتح باب السلوك للسائرين إلى الله تعالى، ولهذا جمعها في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

الثاني: إنه اشتهر أن من أراد الوفود إلى العظماء يتحرى تطهير ظاهره من الأدناس ولبس الثياب النقية الفاخرة، فوافد مالك الملوك ذي العزة والجبروت أولى. وانظر: «فيض القدير» (١/ ٤٨٥).

الشعبة الثالثة والستون
[من كمال الإيمان]

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يستكملُ العبدُ الإيمانَ حتَّى يحسن خُلُقَهَ، ولا يُشْفِي غَيْظَهُ**»[١]. رواه الطبري من حديث أبي مودود عن أبي حازم عن أبي الربيع.

شرح الحديث: المقصود من قوله (ولا يشفي غيظه) يعني: يكظم غضبه ويحبسه.

فإن من كظم غيظه، وردّ غضبه، أخزى شيطانه، وسلمت مروءته.

فاعلم أن الخلق الحسن من كمال الإيمان، وتمامه الصبر وعدم شفاء الغيظ بما يسخط الله تعالى، فيحلم ولا يفحش، ولا ينتصر لنفسه بلسان ولا يد، ونحو هذا. وكفى بمدح الله تعالى لأهل الإيمان ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤].

الشعبة الرابعة والستون
[الصبر في مخالطة الناس]

قال اللالكائي الطبري: ثنا إسحاق بن إبراهيم بن الطلقي، ثنا أبو نعيم عبد الملك بن

=

وعبد الله بن أحمد في السنة (٨٠٢)، والبيهقي في الاعتقاد (ص١٧٦)، وفي الكبرى (١/ ٤٢)، (١٨٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (١/ ١٤)، (٦/ ١٧١)، من حديث أبي مالك الأشعري، وكذلك عن علي ابن أبي طالب مرفوعًا، فذكره.

(٢) إسناده ضعيف جدًا: رواه البيهقي في الشعب (٨٠٨٧) (٦/ ٢٦٣)، والديلمي في الفردوس (٥/ ١١٥)، (٧٦٥٣)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٣٧٧)، من طريق أبي مودود عن أبي حازم عن أنس به، فذكره.

محمد بن عدي الاستراباذي، ثنا محمد بن جعفر القلانسي الرملي، ثنا آدم بن أبي إياس ثنا شعبة عن الأعمش عن يحيى بن وثاب عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمنُ الذي يُخَالِطُ النَّاسَ ويَصْبِرُ على آذاهُم أفضلُ من الذي لا يُخَالِطُ النَّاسَ ولا يَصْبِرُ على آذاهم»**(١).

شرح الحديث: إن المؤمن الذي يُساكن الناس ويُقيم فيهم، ويعاملهم في البيع والشراء، فيصبر عليهم لما يتعرض له من آثام وفتن، ومن ثم إن كان الصابر عليه عدوًّا فذلك من أعظم أنواع الصبر، واعلم أن الله لم يسلطهم عليك إلا لذنب صدر منك، فاستغفر الله من ذنبك، واعلم أن ذلك ابتلاءٌ منه تعالى، فكن فيما بينهم سميعًا لحقهم، أصم عن باطلهم، نَطُوقًا بمحاسنهم، صَمُوتًا عن مساوئهم.

وقال الذهبي: مخالطة الناس إذا كانت شرعية فهي من العبادة، وغاية ما في العزلة التعبد، فمن خالطهم بحيث اشتغل بهم عن الله، وعن السنن الشرعية، فهذا إبطال، فليفرَّ منهم.

واعلم أن المخالطة ثلاثة: داء، وأداء، ودواء.

---

(١) **حديث صحيح:** رواه ابن ماجه: (٢/ ١٣٣٨)، (٤٠٣٢)، وأحمد في المسند (٢/ ٤٣)، (٥٠٢٢)، عن ابن عمر. ورواه في (٥/ ٣٦٥)، (٢٣١٤٧)، عن رجل قال: أظنه ابن عمر. وكذلك في كتاب الزهد (٢/ ٥٨)،(١٢٤٦) عن الأعمش عن يحيى بن وثاب وأبي صالح عن رجل عن رجل من أصحاب محمد فذكره، وابن أبي الدنيا في مداراة الناس (ص٢١)، (١). ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده كما في زوائد الهيثمي (٢/ ٧٩٩)، (٨٠٩) عن بعض أصحاب النبي ﷺ، والطيالسي في مسنده (١/ ٢٥٦)، (١٨٧٦) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ يراه ابن عمر، والبغوي في مسند ابن الجعد (٧٤٥)، (ص١٢١).

والبيهقي في الشعب (٧/ ١٢٧)، (٩٧٣٠) عن يحيى بن وثاب عن ابن عمر، وكذلك في السنن الكبرى (١٠/ ٨٩)، وفي الزهد الكبير (٢/ ١١٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٨٨)، (ص١٤٠) عن يحيى عن ابن عمر به. وهناد في الزهد (٢/ ٥٨٨)، (١٢٤٦) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، وأبو نعيم (٧/ ٣٦٥)، وابن قانع في معجم الصحابة (٢/ ٨٣)، من طريق روح عن أبي إسحاق عن يحيى بن وثاب عن عبد الله بن مسعود، فذكره. وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٦٢) حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني قال ثنا أحمد بن رشدين قال ثنا زهير بن عباد قال ثنا أبو بكر الزاهري عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن عمر مرفوعًا. ورواه الطبراني في الأوسط (١/ ١١٨)، (٦٦٨) بالسند المتقدم، وقال: لم يرو هذا الحديث عن الأعمش عن حبيب إلا أبو بكر الزاهري تفرد به زهير بن عباد. ورواه في الأوسط أيضًا (٥٩٥٣)، (٦/ ١٠٩) من طريق سفيان بن عيينة عن حصين عن يحيى بن وثاب عن ابن عمر مرفوعًا به.

تنبيه: في الأصل عبد الله بن إبراهيم الطلقي، والصواب ما أثبت كما في المصادر، منها: تاريخ بغداد (٩/ ٣٩١)، وحلية الأولياء (٥/ ٦٥)، والمقتني في سرد الكنى للذهبي (ص١٢١)، (٨٠٩).

فالداء، أي: أهل المعاصي والكفران البعيدين عن ذكر الرحمن، لا يهمهم ولا يشغلهم سوى الدنيا وكل ما يلهي عن ذكر الله.

وأهل الأداء: الذين لا يُستغنى عن التعامل معهم من بيع وشراء، وأخذ وعطاء، فمخالطتهم لا تتعدى الحاجة والضرورة.

وأما مخالطة أهل الدواء: فهم أهل العلم والفهم، أهل الله الصالحين، زادهم الكتاب والسنة وترقيق القلوب لحضرة علام الغيوب، فهم حقًا أهل ود وقرب، ألحقنا الله بهم، وجعلنا ننهج سلوكهم.

تنبيه: اعلم أن المقصود هو عدم كثرة مخالطة الناس، فمن أكثرها خرج من طريق السلف، وهان في عيون الناس، وأيضًا لا يمكن له مجلس خال عن الغيبة إلا قليلاً، وقد قيل: الراحة في هذا الزمان لا تكون لأحد من المؤمنين إلا إذا كان خامل الذكر بين الناس.

وقال أبو الدرداء ﷺ: «من خالط الناس فلا بد أن يخربوا قلبه».

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما: «خير جلوس الرجل في قعر بيته لا يرى أحدًا، ولا يراه أحد» لكن هذا إذا كان طالبًا للشهرة والرئاسة، وأمَّا إذا اشتهر من الله تعالى بين الناس من غير طلب منه، أو أعطى إليه شيء من المناصب مثل الوظائف أو الإمامة أو الخطابة أو غير ذلك، ولا يأكل من معروفها ومعلومها شيئًا، أو يأكل قدر سد الرمق، فلا تضره الشهرة ولا الرئاسة، ومع هذا فالخمول أسلم وأحسن من الاشتهار وإظهار الأحوال؛ لأن الحق تعالى سترهم عن أعين الخلق رحمة بالخلق، كما قاله الشيخ الأكبر ﷺ لأنهم لو كانوا ظاهرين بين الناس وآذاهم أحدٌ لكان قد بارز الله تعالى بالمحاربة فأهلكه الله، فلا يكون ظهورهم إلا من حيث ظاهر علمهم، وأمَّا سرّ ولايتهم فهو باطن لم يزل كما في الحديث القدسي: «**أَوْلِيَائِي تَحْتَ قِبَابِي لاَ يَعْرِفُهُم غَيْرِي**[1]»، فالولي لا يعرف صفاته إلا الله، أو مَن علَّمه الله وهو الولي، فنفي الولاية عن إنسان ليس إلا محض تعصب، فإذا علمت هذا، فالولي لا بد له من ستر أو أستار على حسب الاستعداد نظير السبعين حجابًا الثابتة لله تعالى إنما يعرف من ورائها، فكذلك كل ولي له الستر لا يُعرف إلا من ورائها.

---

(١) ذكره المناوي في «التعاريف» (١/ ٦٧)، وهو حديث مشهور عند السادة الصوفية.

فمنهم من ستر بالأسباب، ومنهم من سُتر بظهور العزة والسطو والقهر على حسب تجلِّي الحق لقلبه فبصفة القهر يكون قهارًا، وبالانتقام يكون منتقمًا، وبالرحمة يكون رحيمًا ومشفقًا. ومنهم من ستر بالعلم الظاهر ومنهم من ستر بالتردد إلى الملوك والأمراء والأغنياء. ومنهم من ستر بسؤاله الدنيا وطلبه الوظائف وغيرها لكن ليقوم فيها بالعدل، وغير ذلك من أنواع الستر. ومنهم من له نوع، ومنهم من له نوعان، وهكذا إلى ثلاثة وأربعة وغير ذلك. ومنهم من له الأنواع كلها، وبالجملة: إن الخمول أسلم للشيخ المرشد المسلك، وواجب على السالك، والشهرة آفة عظيمة للسالك ومحرمة عليه إلا بإذن من الله، وهي أنفع للشيخ إن كان في صدد التربية، وليس كل من اشتهر شيخًا قابلاً لتربية المريدين، بل ربما يكون في الخمول، وهو أولى بالتسليك ممن اشتهر، فإن للتسليك أوصافًا توجد في الخمول دون الاشتهار، وربما توجد في المشتهر أيضًا. فالحاصل: هو أن تكون المخالطة في حدود، وللكمل أخلاق خاصة، ليس للناس عليها طاقة، وفي ذلك تفصيل محله كتب السلوك والحقائق.

الشعبة الخامسة والستون

[حقيقة الإيمان]

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: «**لا يصيبُ عبدٌ أو رجلٌ حقيقةَ الإيمانِ حتَّى [يرى] النَّاسَ كأنَّهُم حَمْقَى في دِينه**»(١). إسناده صحيح عنه.

وسالم بن أبي الجعد الأشجعي: ثقة، يرسل عن عائشة وغيرها، ولم يذكر أنه يدلس عن ابن عمر أو ابن عباس -رضي الله عنهم.

شرح الحديث: إن الخوف والشفقة من الله ﷻ دأب المؤمن وحاله مع ربه، فتراه دائمًا في حرص ألا يعرف الناس حاله مع ربه، ويخشى الوقوع في العجب، فهو لا يعبد الله إلا لله

---

(١) **أثرٌ صحيحٌ**: رواه ابن المبارك في الزهد (ص/ ١٠٠)، (٧٩٥) عن سفيان الثوري عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عمر فذكره.

ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١١٧)، (٣٤٦٣٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٦) عن وكيع عن سفيان به، فذكره. قلت: ومنصور هو ابن المعتمر الكوفي، ثقة ثبت، كما في التقريب للحافظ ابن حجر (ص٥٤٧).

تنبيه: ما بين [ ] سقط من الأصل، وأُسْتُدْرِكَ من الزهد لابن المبارك وعند ابن أبي شيبة وأبي نعيم (يعد).

وحده؛ ولذلك قيل: من عبد الله للظهور فهو عبدٌ للظهور، ومن عبد الله للخفاء فهو عبدٌ للخفاء، ومن عبد الله لا من أجل ظهورٍ ولا خفاء فهو عبدٌ لله.

وقد كان الصحابة خائفين، وما كانوا بلغوا خوف رسول الله ﷺ، ولذلك قال ابن عمر -رضي الله عنهما: لن تبلغ حقيقة الإيمان حتى تنظر الناس كلهم حمقى في دين الله.

وقال مطرف: ما من الناس أحدٌ إلا وهو أحمق فيما بينه وبين ربه، إلا أن بعض الحمق أهون من بعض.

وقال النبي ﷺ: **«لا يبلغ عبْد حقيقةَ الإيمان حتَّى ينظر إلى الناس كالأباعر في جنب الله، ثم يرجع إلى نفسه، فيجدها أحقر حقيرٍ»**.

قال العراقي: لم أجد له أصلاً في حديثٍ مرفوعٍ.

فالصادق إذن في جميع هذه المقامات عزيز، ثم درجات الصدق لا نهاية لها، وقد يكون للعبد صدق في بعض الأمور دون بعض، فإن كان صادقًا في الجميع فهو الصديق حقًّا.

قال سعد بن معاذ: ثلاثةٌ أنا فيهنَّ قويٌّ، وفيما سواهنَّ ضعيفٌ: ما صليت صلاةً منذ أسلمت، فحدثت نفسي حتى أفرغ منها، ولا شيَّعت جنازةً، فحدثت نفسي بغير ما هي قائلةٌ وما هو مقولٌ لها حتى يفرغ من دفنها، وما سمعت رسول الله ﷺ يقول قولاً إلا علمت أنه حق.

فقال سعيد بن المسيب ﷺ: ما ظننت أن هذه الخصال تجتمع إلا في النبي ﷺ، فهذا صدق في هذه الأمور، وكم من قوم من جلة الصحابة قد أدوا الصلاة، واتبعوا الجنائز، ولم يبلغوا هذا المبلغ، فهذه هي درجات الصدق ومعانيه، والكلمات المأثورة عن المشايخ في حقيقة الصدق في الأغلب لا تتعرض إلا لآحاد هذه المعاني.

نعم: قد قال أبو بكر الوراق ﷺ: الصدق ثلاثةٌ: صدق التوحيد، وصدق الطاعة، وصدق المعرفة. وانظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ٣٩٢).

الشعبة السادسة والستون

[لا يُعطي الله الإيمان إلا لمن يحبُّه]

قال عبد الله بن مسعود [قال رسول الله ﷺ]: **«إنَّ الله قَسَّمَ بينكم أخلاقَكُم كما قسَّم بينكم أرزاقَكم، وإنَّ الله يُعطِي الدُّنْيَا من يُحِبُّ ومَنْ يُبْغِضُ، ولا يُعطِي الإيمانَ إلا من يُحِبُّ، فمن ضَعُفَ عن هذا الدينِ أن يُكابِدَه وضَنَّ بهذا المالِ أنْ يُنْفِقَهُ وجَبُنَ عن هذا العدوِّ أن يَقْتُلَهُ فليُكْثِرْ من قولِ سُبحانَ الله والحمدِ لله، فإنَّها أحبُّ إلى الله من جبلِ ذَهَبٍ وفِضَّةٍ»**.

إسناده صحيح[(١)].

من شرح الحديث: قال ابن القيم: فالأعمال تشفع لصاحبها عند الله، وتذكر به إذا وقع في الشدائد، قال تعالى عن ذي النون ﷺ: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٣، ١٤٤].

وفرعون لما لم تكن له سابقة خير تشفع له قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس:٩٠]، فقال له جبريل: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:٩١].

وفي «المسند» (٤/ ٢٦٨) عنه ﷺ أنه قال: «**إن ما تذكرون من جلال الله من التسبيح والتكبير والتحميد يتعاطفن حول العرش، لهن دوي كدوي النحل، يذكرن بصاحبهن، أفلا يحب أحدكم أن يكون له من يذكر به**»؛ ولهذا .. من رجحت حسناته على سيئاته أفلح ولم يعذب ووهبت له سيئاته لأجل حسناته، ولأجل هذا يغفر لصاحب التوحيد ما لا يغفر لصاحب الإشراك؛ لأنه قد قام به مما يحبه الله ما اقتضى أن يغفر له ويسامحه ما لا يسامح به المشرك، وكلما كان توحيد العبد أعظم كانت مغفرة الله له أتم، فمن لقيه لا يشرك به شيئًا ألبتة غفر له ذنوبه كلها كائنة ما كانت، ولم يعذب بها. ولسنا نقول: إنه لا يدخل النار أحد من أهل التوحيد، بل كثير منهم يدخل بذنوبه، ويعذب على مقدار جرمه، ثم يخرج منها، ولا تنافي بين الأمرين لمن أحاط علمًا بما قدمناه.

ونزيد هاهنا إيضاحًا لعظم هذا المقام من شدة الحاجة إليه: اعلم أن أشعة لا إله إلا الله تتمدد من ضباب الذنوب وغيومها بقدر قوة ذلك الشعاع وضعفه، فلها نور، وتفاوت أهلها في ذلك النور قوة وضعفا لا يحصيه إلا الله تعالى.

فمن الناس من نور هذه الكلمة في قلبه كالشمس. ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري. ومنهم من نورها في قلبه كالمشعل العظيم. وانظر: «مدارج السالكين» لابن قيم (١/ ٣٢٩).

---

(١) حديث صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد (ص١٠٤)، (٢٧٥)، والعدني في الإيمان (٦٤)، بتحقيقنا، والضبي في الدعاء (٩٧)، (ص٢٧٤)، والشاشي في مسنده (٢/ ٣٠٠)، (٨٧٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٨٨)، (٢/ ٤٨٥)، (٤/ ١٨٢)، وأحمد في المسند (١/ ٣٨٧)، والإسماعيلي في معجم شيوخه (٣/ ٧٢٧)، والبيهقي في الشعب (١/ ٤٢٥)، (٤/ ٣٩٥)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٨٣٧)، (١٤٠١)، والدراقطني في العلل (٥/ ٢٦٩)، (٢٧١)، (٨٧٢)، جميعهم من حديث ابن مسعود مرفوعًا بنحوه.

قلت: لم يرفع في الأصل إلى النبي ﷺ ولعله سقط على الأرجح، حيث لم أقف على هذا اللفظ بعينه فيما خرجته، وكذلك لم يرو موقوفًا فيما بحثت وخرجت، والله أعلم.

أربع شعبٍ أخرى
[السابعة، والثامنة، والتاسعة والستون، والسبعون
في أعلى درجات الإيمان]

قال أبو الدرداء: «ذُرْوَةُ الإيمان أربعٌ: الصبرُ للحُكْمِ، والرِّضَا بالقَدَرِ، والإخلاصُ للتَّوَكُّلِ، والاستسلامُ للربِّ»(١).

شرح الحديث: ذروة الشيء: أعلاه وأرفعه، أي: إن أعلى درجات الإيمان أربعة: الصبر للحكم، يعني التحمل لما حكم الله به وقدّر من ابتلاء، وقد تقدم الكلام على الصبر.

والرضا بالقدر، أي: عدم القنوت واليأس، وأن يستشعر المؤمن حلاوة القدر ومره، ورضاءه به وصبره؛ لأن ذلك أمر الله وقدره، والمؤمن أمره كله خيره. وقد تقدم الكلام على القدر.

والإخلاص للتوكل فأصل الإخلاص: هو ألا يشرك بعبادة ربه أحدًا، فمن أراد النهايات فعليه بتصحيح البدايات، ومن أراد الجنة فعليه بالإخلاص في العمل، ومن صدق مع الله تعالى كفاه الله مضرة الأعداء، وحفظه من السوء، وحمل عنه مئونة الأرداء، وأعانه على حياته، وهداه إلى الطيب من الأعمال.

وقال الشيخ ابن عطاء: والأعمال صورة قائمة، وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها، فمن عمل عملاً بلا إخلاص كان كمن أهدى جثة جاريته للأمير يبتغي بها الثواب، وهو لا يستحق على ذلك إلا أشد أنواع العقاب، وهو يختلف باختلاف الأشخاص.

فإخلاص العُبَّاد: سلامة أعمالهم من الرياء الجليّ والخفيّ.

وإخلاص المحبين: هو العمل لله إجلالاً وتعظيمًا؛ لأنه أهل لذلك.

وإخلاص المقربين: هو شهادتهم بانفراد الحق بتحريكهم وتسكينهم مع التبري من الحول والقوة.

---

(١) **أثر صحيح:** رواه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٧٦) عن أبي الدرداء فذكره،ورواه البيهقي في الشعب (١/ ٢١٩)، (٢٠٢) عن أبي الدرداء، وروى ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٥٧)، (٣٠٣١٢) عن عمر قال: عرى الإيمان أربع: الصلاة، والزكاة، والجهاد، والأمانة. وبنحو ما سبق بزيادة عن علي بن أبي طالب ﷺ يرفعه عند عبد بن حميد في مسنده (٧٦).

وقال أبو بكر الدينوري: الإخلاص أن يكون ظاهر الإنسان وباطنه وسكونه وحركاته خالصة لله تعالى، ولا يشوبه حظ نفس ولا هوى ولا خلق ولا طمع.

والتوكل صورته في البدايات: ترك الأفعال العادية الصادرة من الهوى بالتزام الأفعال المأمورة بها، وفي الأبواب: اعتقاد كون الحول والقوة على الفعل بالله.

وأصله في المعاملات: يكل الأمور إلى موكله والتعويل على وكالته، ودرجته في الأخلاق: الحياء من التولي لتحقق أن الأمر كله لله، فليس له من الأمر شيء حتى يكال إليه، ولا ملك له حتى يجد وكيلاً في التصوف فيه فيستحيي منه، ويتواضع له مستعيذًا به داعيًا بقوله: «**اللهُمَّ آتِ نفسِي تَقْوَاهَا، وزكِّهَا أنتَ خيرُ مَنْ زكَّاهَا، أنت وليُّهَا ومَولاها**». رواه مسلم (٤/ ٢٠٨٨).

قيل لسهل بن عبد الله ﷺ: أي شيءٍ أشد على النفس؟ فقال: الإخلاص، وكم أجهد في إسقاط الرياء عن قلبي، فكأنه ينبت فيه على لون آخر.

قال أبو طالب المكي ﷺ: الإخلاص عند المخلصين: إخراج الخلق من معاملة الخالق، وأول الخلق النفس.

وعند المحبِّين: ألا يعمل عملاً لأجل النفس، وألاّ يدخل عليه مطالعة العوض، أو تشوف إلى حظ طبع.

وعند الموحدين: خروج الخلق من النظر إليهم في الأفعال، وترك السكون والاستراحة بهم في الأحوال انتهى.

فإذا حمل العبد في نفسه وألزمها التواضع والمذلَّة، واستمرَّ على ذلك حتى صار له خلقًا وحيلة بحيث لا يجد لضعته ألمًا ولا لمذلته طعمًا زكت نفسه واستنار بنور الإخلاص قلبه، ونال من ربه أعلى درجات الخصوصية، وحصل أوفى حظ ونصيب من المحبة الحقيقية، فهذا لا يكره الذم من الخلق لوجود النقص في نفسه، ولا يحب المدح منهم لفقد القدر والمنـزلة في نفسه، فصارت الذلة والضعة صفة لازمة له لزوم العرض للجوهر، فإن كان مع الله تعالى بالذل طلبه واستحلاه، كما يطلب المتكبر العز ويستحليه إذا وجده، فإن فارق ذلك الذل ساعة لغيَّر قلبه لفراق حاله، كما أن المتعزز إن فارق العز ساعة تكدر عليه عيشه؛ لأن ذلك عيش، فإذًا لا بدَّ للمريد من إسقاط جاهه وإخمال ذكره، وفراره عن موضع اشتهاره وتعاطيه أمورًا مباحة تسقطه من أعين الناس، كقصة السائح الذي سمع به ملك زمانه فجاء إليه، فلما علم بذلك السائح استدعى بقلاً وجعل يأكله أكلاً عنيفًا بمرأى من الملك، فلما رآه على تلك

الحالة استحقره واستصغره فانصرف عنه ذامًّا له.

وفي الأصول: الاتكال في القصد، والعزم على توفيقه، والاعتماد عليه في سيره وسلوكه.

وفي النهايات: التوكل هو القيام بالله في كل الأمور، لا بنفسه، والاستسلام للرب معناه في البدايات: تسليم الأحكام الشرعية بلا اعتراض عليها ولا طلب لعلتها.

وفي الأبواب: الاستسلام لقضاها، والإذعان لمقتضاها بلا نزاع ولا كره.

وأصله في المعاملات: تسليم ما يزاحم العقول ولا يشق على الأوهام مما يغالب القيام من سير الحس والقسم والإجابة لما تفرغ من الأهوال.

ودرجته في الأخلاق: الإذعان لما ثبت للنفس على خلاف مقتضى طبعها من الصبر مكان الطيش، والإيثار مكان الشح، ويلزمها العدالة والتوسط، ويزيل عنها الأُنس.

وفي الأودية: تسليم البصيرة والحكمة والهمة إلى الحق، وفي الأحوال: تسليم الأمور إلى الحق ليقوى الحب للحق، وفي النهايات: تسليم ما دون الحق إلى الحق مع السلامة من رؤية التسليم بمعاينة تسليم الحق إياك إليه. فتلك هي أمور أربع يحصل بها الترقي في الإيمان، والوصول إلى غاية المأمول من الرحمن.

الشعبة الحادية، والثانية والسبعون
[ثلاثةٌ يحصل بهن حلاوة الإيمان]

قال ابن أبي حازم: ثنا الحسين بن عبد الله الواسطي إمام مسجد العوام، أنا عبد الرزاق أنا معمر، عن أبي إسحاق عن صلة بن زفر، عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجدَ بهن حلاوةَ الإيمان: الإنفاقُ من الإقتارِ، وبذلُ السَّلامِ للعالمِ، وإنصافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِهِ**»[1]. قال اللالكائي: رفعه غريب، يعني: والصحيح أنه موقوف.

فوائد في شرح الحديث: قال النووي وغيره: وبذل السلام للعالم، والسلام على من عرفت ومن لم تعرف، وإفشاء السلام، كلها بمعنى واحد.

وفيها لطيفة أخرى: وهي أنها تتضمن رفع التقاطع والتهاجر والشحناء وفساد ذات البين التي هي الحالقة، وأن سلامه لله لا يتبع فيه هواه ولا يخص أصحابه وأحبابه به فقط.

---

(١) **حديث صحيح**: ذكره البخاري تعليقًا (١/ ١٩)، ورواه معمر في الجامع (١٠/ ٣٨٦) والبزار في مسنده (٤/ ٢٣٢)، (١٣٩٦)، والبيهقي في الشعب (١/ ٧٥)، (٤٩)، (٧/ ٥٣٢)، (١١٢٣٩)، والخطيب في التقييد (ص٤٤٠)، ووصله الحافظ في تغليق التعليق (٢/ ٣٨) والسمعاني في أدب الإملاء والاستملاء (ص١٢١)، من طريق عبد الرزاق به مرفوعًا وموقوفًا، وبنحوه.

وفي «شرح سنن ابن ماجه»: والسلام أول أسباب التآلف، ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشاء السلام تتمكّن ألفة المسلمين بعضهم ببعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الدنيا، مع ما فيه من رياضة النفس ولزوم التواضع وإعظام حرمات المسلمين.

وقال المناوي: والحديث عام في النفقة على العيال والأضياف وكل نفقة في طاعة الله، وفيه أن نفقة المعسر على أهله أعظم أجرًا من نفقة الموسر.

وانظر: «شرح مسلم» للنووي (٢/ ٣٦)، و«شرح ابن ماجه» (١/ ٦٣)، و«الديباج» للسيوطي (١/ ٧٢)، و«فيض القدير» (٣/ ٢٩٥).

الشعبة الثالثة والسبعون

[احتباس الخيل في سبيل الله]

لحديث أبي هريرة: **«من احتبسَ فرسًا في سبيل الله إيمانًا بالله وتصديقًا بموعوده كان شبَعُهُ [وريُّه] ورَوَثُه وبَوْلُهُ حسناتٍ في مِيزَانِهِ يَوْمَ القِيامةِ»**(١).

رواه البخاري أجزاءً، ورواه اللالكائي بأسانيده فلم يذكر حب الإيمان.

فوائد في شرح الحديث: قال الحافظ ابن حجر: قوله: من احتبس فرسًا في سبيل الله لقوله ﷻ: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠] أي: بيان فضل الخيل.

وقال المهلّب وغيره: في هذا الحديث جواز وقف الخيل للمدافعة عن المسلمين، ويستنبط منه جواز وقف غير الخيل من المنقولات، ومن غير المنقولات من باب الأولى.

وقوله: (**وروثه**) يريد ثواب ذلك، لا أن الأرواث بعينها توزن.

وفيه أن المرء يؤجر بنيته كما يُؤجر العامل، وأنه لا بأس بذكر الشيء المستقذر بلفظه للحاجة لذلك.

وقال الشيخ ابن أبي جمرة ؓ: يُستفاد من هذا الحديث أن الحسنات تُقبل من صاحبها لتنصيص الشارع على أنها في ميزانه، بخلاف غيرها فقد لا تقبل فلا تدخل الميزان.

وانظر: «الفتح» للحافظ (٦/ ٥٧).

---

(١) **حديث صحيح**: رواه البخاري (٢٦٩٨)، (٣/ ١٠٤٨)، والنسائي في الصغرى (٦/ ٢٥٥)، (٣٥٨٢)، وفي السنن الكبرى (٤٤٢٣)، (٣/ ٤٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٠١)، وابن حبان (٤٦٧٣)، (١٠/ ٥٢٩)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ٢٧٤)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٧٤)، وأبو يعلى (٦٥٦٨)، والبيهقي في الشعب (٤/ ٤٥)، وفي الكبرى (١٠/ ١٦)، وابن أبي شيبة في (٦/ ٥٢١)، (٤٣٠٣)، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٩٩)، كلهم من حديث أبي هريرة به فذكره، وبنحوه.

وما بين [ ] زيادة من البخاري. النسخة اليونينية.

خاتمة نسخة الشعب لابن كثير

كُتب على هامش الأصل ما نصه: نقلتها من الأصل المنقول من أصل المصنف ﷺ.

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

* * *

فهرس الأحاديث

❁ ❁ ❁

فهرس الموضوعات